الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة. بجاية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

الجديد الدلالي عند " دي سو سير" وأثره في علم اللغة الحديث

مذكرة مقدَمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة العربية و آدابها

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين :

- **زغار إلهام .**
- **موسى صفية .**

إشراف الأستاذ:

- **شمون أرزقي .**

السنة الجامعية : 2017/2016 .

إهداء

أهدي كل الحب والوفاء للقلب الذي يعطي بسخاء، إليك يامن بنيت وسهرت حتى علا البناء فلولاك لما كنت ولا صرت في الأرجاء،فأنت المشعل الذي يضيئ كل الأنحاء ،أدامك الله عليا نعمة دائمة فأنت قدوتي ومثلي الأعلى شكرا لك أمي يا شمس حياتي .

إلى من تعهدني بالتربية في الصغر، وكان لي نورًا يضيئ فكري بالنصح والتوجيه، أبي الغالي ،الذي وفر لي كل سبل الراحة والأمان طوال حياتي، ولن أنسى ما علّمني إياه وسأكون دوما خير ابنة يفتخر بها .

إلى الذي كان سندا وعونا لي ،خطيبي العزيز رضوان .

إلى من شملوني بالعطف ،وأمدوني بالعون ،وحفزوني للتقدم :عمي مبارك وزوجته علجة.

إلى من ذقت في كنفهم طعم السعادة ،إخواتي الأعزاء :عبد الغاني ،عبد الحفيظ ،بوبكر و فارس

إلى أختي فاطمة وإبنة عمي التي أعتبرها أختي الثانية ثلجة .

إلى من قضيت معهم أحلى أيام عمري، صديقاتي :أمينة ،مربوحة ،وردة ،سميرة ،مريم ،سماح .

إلى من معها سعدت ،وبرفقتها في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت ،إلى من كانت معي على طريق النجاح ،إلى من عرفت كيف أجدها وعلمتني أن لا أضيعها ،صديقتي صفية .

إلهام

إهداء

إلى من:

سهر على راحتي ونجاحي وتربيتي وتعليمي إلى من أنار طريقي وعلمني كيف أكون خير ممثلة له .

"أبي العالي "

إلى من:

حملتني وهنا على وهن والتي جعل الخالق الجنة تحت قدميها وذكرها المصطفى ثلاثا ومثلي في الدنيا ونبع الحنان الصافي والقلب الدافئ .

"أمي الغالية "

إلى من:

أحبها وأعتبرها جزءا مني، أختي الغالية والوحيدة "غانية " والى أبنائها أمين وأيوب

وإخوتي الذين أعتبرهم سندي في الحياة "سعيد " "شريف " يوسف" ،وإلى أبنائهم اللذين أظفوا البهجة على حياتنا إياد ، أكرم ، والكتكوت أسيل .

وزوجاتهم :مروة ،كنزه

وإلى كل أعمامي وأبنائهم

كما لأنسى صديقاتي التي جمعتنا المحبة والأخوة وتقاسمنا معنا الأحزان والأفراح ،أمينة ،مربوحة ،آسيا ،أمال، مايسة ،وسام ،وإلى كل من يعرفني من قريب ومن بعيد وكل زملائي التي جمعتنا بهم الدراسة .

كما لأنسى توأمي ونصفي الأخر التي جمعتنا الحياة فأصبحنا أخوات وتقاسمنا الأعمال وتجاوزنا الصعاب "إلهام "وأدع الله أن يحميها وأشكره لأنه جمعني بها .

صفية

شكر و تقدير

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللت بإنجاز هذا البحث ،نحمد الله عزوجل على نعمه التي من بها علينا، فهو العلي القدير ،كما لايسعنا إلا أن نخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير أستاذنا المشرف عن مذكرة تخرجنا " شمون أرزقي " لما قدمه من جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث .

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في تقديم يد العون لنا ،ولكل الأساتذة الذين أشرفو اعلينا طول مشوارنا الدراسي من الإبتدائي إلى الجامعي وإلى كل زملاء دفعة 2017 ،كما لاننسى أن نتقدم بأرقى عبارات الشكر للسيد رئيس قسم اللغة والأدب العربي " بوعلام بطاش " إلى القائمين على مكتبة جامعة الهضاب بسطيف .

إلى الذين كانوا عونا لنا في بحثنا هذا ونورا أضاء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا.

دعاءً من القلب بأن يجزيهم الله عنا خير جزاء .

مقدمة

مقدمة :

استطاعت اللسانيات أن تدخل تغيرات جذرية على التاريخ اللغوي القديم وتكمن الدرس اللساني من الخروج من المعيارية إلى مجال الوصف بفضل جهود" دي سوسير"، فقد بلغ الفكر اللغوي عنده قيمة كبيرة لاتضاهيها أية قيمة أخرى في اللسانيات الحديثة فقد ساعد في تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين .

وإليه يعود الفضل في ابتكار المنهج الوصفي، واستعماله في البحوث اللغوية ،كما أن الظاهرة اللغوية شغلت فكر الإنسان منذ القديم ،واللفظ والمعنى أخذا حقهما من هذه الدراسة على مر العصور والمعروف لدينا أن كل لفظ من اللغة من اللغات يدل على معنى معين يصبح له بمثابة العلامة ولم يتوقف الأمر في البحث عن المعنى عند حد الألفاظ ،بل تجاوزها إلى الأصوات و الإشارات والرموز ،وهذا ما أدى إلى ظهور علم الدلالة الذي انصبت الاهتمامات حوله ،ولم يعد علم الدلالة في حاجة إلى من يدافع عن وجوده فالمعنى يعد أهم مواضيع علم الدلالة .

تكمن أهمية بحثنا في ابراز الجديد الذي جاء به" دي سوسير " في ميدان علم الدلالة ،وكيف تأثر به اللغويين الذين جاءوا بعده .

أما عن سبب اختيارنا لهذا الموضوع فهو رغبة منا بمعرفة جهود " دي سوسير" اللغوية وإيمانا منا بأنه بحق هو آدم اللسانيات الحديثة والقاعدة الأساسية التي بنيت عليها الدراسات اللغوية بما قدمه في ميدان علم الدلالة واللسانيات .

أما الإشكالية التي انطلقنا منها في بحثنا هذا فتمثلت فيما يلي :

ـ بأي شكل تطرح الدلالة في نظرية "دي سوسير " ؟وما هي حقيقتها ؟ وما صلتها بالنظام، والقيمة ،والعلامة اللغوية ؟

ـ ماذا قدم دي سوسير لعلم الدلالة ؟وما هو الجديد الذي جاء به ؟

ـ كيف تأثر به اللغويون الذين أتوا بعده ؟

سعينا من خلال بحثنا هذا للإشارة إلى الجديد الدلالى الذي جاء به" فرديناند دي سوسير" وأثره في علم اللغة الحديث .فهدفنا من هذا البحث هو إبراز اهتمامات " دي سوسير" بعلم الدلالة ومجهوداته العلمية والعملية ومن المراجع التي اعتمدناها لإنجاز هذا البحث كتاب "نعمان بوقرة "(محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة)،مصطفى غلفان (السانيات البنيوية منهجيات واتجاهات) ،شفيقة العلوي (محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة) أحمد مومن (اللسانيات النشأة والتطور)،أحمد مختار (علم الدلالة) نور الهدى لوشن (علم الدلالة)،وغيرها من المراجع .

ولقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي .

أما عن الخطة التي وضعناها لتقسيم بحثنا فهي تتشكل من :مقدمة وثلاثة فصول ،ولكل فصل مبحثان :

الفصل الأول :جاء تحت عنوان " الدرس الدلالي قبل "دي سوسير" وضم مبحثين .

المبحث الأول :الدلالة في الفكر الغربي القديم وتحدثنا فيه عن الدلالة عند الفلاسفة اليونان وأخذنا بآراء أرسطو وأفلاطون، كما أشرنا إلى بعض الدراسات الدلالية عند الهنود .

المبحث الثاني :كان بعنوان الدلالة في التراث العربي ،وركزنا على أهم اللغويين العرب اللذين تحدثو عن الدلالة وهم الجاحظ ،ابن جني ،والجرجاني .

الفصل الثاني :جاء بعنوان الدرس الدلالي عند " دي سوسير" وقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: تطرقنا فيه إلى طبيعة العلامة اللغوية عند" دي سوسير" التي تتسم بميزة الاعتباطية والخطية وتحدثنا عن ثنائية الشكل والمادة ، بالإضافة إلى ثبوت العلامة اللغوية وتغيرها .

المبحث الثاني :كان حول النظام اللغوي والدلالة ،قدمنا مفهوم للنظام عند " دي سوسير" وكذلك القيمة اللغوية ،وعرضنا الثنائية القائمة بين العلاقات الأفقية والتركيبة.

الفصل الثالث : بعنوان أثر الاتجاه البنيوي (السوسوري) على الفكريين الغربي ،وقسم بدوره إلى مبحثين :

المبحث الأول: أبرزنا فيه أثر اتجاه "دي سوسير "على الفكر الغربي ، وأخذنا نموذجين اثنين من اللغويين الغربيين وهما " بلومفيلد " و" تشومسكي " .

المبحث الثاني: قدمنا فيه أيضا أثر اتجاه " دي سوسير" في الفكر العربي وأخذنا أيضا اثنان من الباحثين العرب وهما"عبد السلام المسدي" و" ميشال زكريا"".

وفي الأخير نحمد الله الذي أنار لنا درب المعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب، ووفقنا في إنجاز هذا العمل التواضع فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان وما نبرىء النفس إن النفس لأمارة بالسوء .

الفصل الأول

الدرس الدلالي

قبل " دي سوسير "

الفصل الأول: الدرس الدلالي قبل " دي سوسير "

ويتضمن :

المبحث الأول :الدلالة في الفكر الغربي القديم .

1. عند الهنود .

2. عند فلاسفة اليونان (أرسطو وأفلاطون).

المبحث الثاني :الدلالة في التراث العربي .

1 . عند الجاحظ .

2 . عند الجرجاني .

3 . عند ابن جني .

لمحة عن علم الدلالة :

يعتبر علم الدلالة (Semantics) من أحدث فروع اللسانيات الحديثة ،ويعني بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية ،[1] وقد ظهر الاهتمام بالدراسات الدلالية في أوربا الغربية في المحاضرات التي كان يلقيها ريسيغ (C . Reisig) في هال وأول ظهور لمصطلح علم الدلالة كان في نهاية القرن التاسع عشر على يد الفرنسي ميشال بريال (Michel bréal) وذلك سنة 1883 م قاصدا به علم المعنى .[2]

وقد كان لمبادرة " بريال " دور في ميلاد فرع جديد لدراسة المعنى له خاصية استقلالية ،ومنذ وقته والعلم يعرف على أنه العلم أو النظرية التي تعني بالدلالة .

مرّ علم الدلالة كغيره من العلوم بمراحل عدة ،فالدلالة في مراحلها الأولى كانت تتناول ضمن اهتمامات لغوية متنوعة غير مستقلة بذاتها وظهرت أولياتها على يد " بريال " و " ماكس مولر "(Max muller) ،ثم ظهر السويدي ،" أدولف نورو " (Adolf noreau) وبعده " كريستوف نيروب " (Kristofer nyrop) و كاس تافستن "(Custafsten) ،وظهر " ستيفن أولمان "(S .ulman) الذي أثرى الدراسات الدلالية بعدة كتب .[3]

ويمكن القول إنه لا يمكن أن يكون اليوم كتاب في علم اللغة لا يتحدث عن الدلالة ،فقد اهتموا بكل القضايا التي تخص هذا العلم .

([1]) أحمد مومن ، اللسانيت النشأة والتطور ،ط 2 .الجزائر : 2005 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ص 235 .

([2]) كلود جرمان و ريمون لبلون ، علم الدلالة ، ترجمة نور الهدى لوشن ،ط1 .ليبيا :1997 ،دارالكتب الوطنية ،ص 7 .

([3]) نور الهدى لوشن ،علم الدلالة (دراسة وتطبيق) ،دط .الإسكندرية :2006 ،المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، ص 15،16.

وعلم الدلالة يهتم بالمعنى اللغوي الذي يعد موضوعا له ،والمعنى اللغوي ينطلق من معنى المفردة من حيث حالتها المعجمية ومتابعة التطورات الدلالية والتغيرات التي تأخذها الكلمة في السياقات المختلفة ،وهذا بالإظافة إلى دراسة الأصوات وعلاقات التركيب المؤثرة التي تفضي إلى الدراسة التكاملية .

وتتجلى هذه العناصر والأسس من خلال أنواع الدلالة وهي :

1 . دلالة أساسية معجمية .

2 . دلالة صرفية .

3 . دلالة نحوية .

4 . دلالة سياقية موقعية .[1]

وهكذا بدا الاعتناء بدراسة الدلالة لأن النظرية اللسانية العامة لا يمكنها أن تعتمد على الجوانب الصوتية والنحوية والصرفية فحسب ،خاصة وأن الظواهر اللغوية ،مشتبك بعضها ببعض وترتبط بالدلالة ارتباطا شديدا .

ومن أشهر المؤسسين الحقيقيين لعلم الدلالة المعاصر وذلك بشهادة الكثير من اللسانيين هو " فرديناند دي سوسير " .

([1]) ينظر :كلود جيرمان ريمون لوبلون ،علم الدلالة ،ترجمة نور الهدى لوشن ،ص 8 .

وقبل الحديث عن الدلالة عند " دي سوسير " يجب الأشارة إلى مفهوم الرمز عنده ،فعلم الرموز Semioties=Semiology أو علم العلامات كما اقترحه " دي سوسير" مشتق من الكلمة اليونانية (Semion) ومعناها العلامة .[1]

وهو علم يهتم بدراسة جميع أنواع الرموز (الدوال) بما فيها الرموز اللغوية .

يرى " دي سوسير " أن القوانين التي اكتشفتها السيميولوجيا قابلة لأن تطبق على اللغة ،ومن هذا نقول بأن الدلالة مرتبطة بالرموز اللغوية ،لما لها من أهمية بالغة في حياة الإنسان .أما عن مفهوم الدلالة عند " دي سوسير " فهي عبارة عن علاقة تربط الدال والمدلول داخل العلامة اللسانية ،ومن خواص هذه العلاقة أن يكون بين الدال والمدلول كمال الإتصال .[2]

فمادامت اللغة عبارة عن ألفاظ وأفكار (معان) يجمع بينهما ارتباط وثيق ، حيث متى عرف اللّفظ أمكن فهم معناه ،واللفظ هو الصيغة الخارجية للكلمة ،والمعنى (المدلول) هو الفكرة التي يستدعيها اللفظ .

فالدلالة إذن عبارة عن وحدة بين الصوت والفكر أو كما يسميه " دي سوسير " (الدال والمدلول).

([1]) المرجع نفسه ،ص23 .
([2]) المرجع ،نفسه ،ص 27 .

الفصل الأول: الدرس الدلالي قبل " دي سوسير " .

المبحث الأول: الدلالة في الفكر الغربي القديم .

تعتبر اللغة مصدر اهتمام وانتباه الإنسان منذ نشأته، وإن لم تولد معه، إلى أنه يكتسبها شيئا فشيئا حتى تستوي الملكة لديه بعبر من خلالها ويتواصل، ويئثر فيمن حوله بواسطتها.

1 . الدلالة عند الهنود:

لا يختلف اثنان أن الهنود كانوا سبَاقين من الناحية الزمنية إلى الاهتمام بمختلف قضايا اللغة،سواء كانت من الناحية الصوتية أو الصرفية ،أو التركيبية والنحوية،أو الدلالية وغيرها.

كما تميزت أعمالهم بالدقة العلمية والتنظيم المحكم، وتعتبر جلَ الدراسات اللغوية الهندية عن اللغة السنسكريتية (لغة الهند القديمة).

ولقد ارتبطت دراساتهم بكتاب (الفيدا) الذي جمعت فيه تعاليمهم العبادية ،وكانوا يعتقدون أن لغة كتابهم المقدس هي أقدم لغة على وجه الأرض.[1]

ويقودنا الحديث عن اهتمام الهنود بالدلالة إلى الإشارة لأبرز القضايا التي تطرقوا إليها وهي المتمثلة أساسا في :

([1]) (ينظر): نواري سعودي أبو زيد،الدليل النظري في علم الدلالة، دط.الجزائر:2007،دار الهدى،ص71.

أ)ـ نشأة اللغة : تطرق الهنود لموضوع نشأة اللغة وكيفية اكتسابها، فقد اختلفت الآراء في هذا الشأن بين من يقول إنها هبة ربانية ،وبين من يقول إنها من اختراع الإنسان.

ب) ـ العلاقة بين اللفظ والمعنى : تعددت الآراء حول هذا الموضوع ،فالباحثون الهنود منهم من صرح بأن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة قديمة وفطرية ،شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان، ومنهم من يرى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة، ولكنها طبقا لإرادة إلهية.

ج) ـ أنواع الدلالات للكلمة : لقد درس الهنود الأصناف المختلفة التي تشكل دلالات الكلمات وقسموها إلى أربعة أقسام هي:

1ـ قسم يدل على مدلول عام يتسم بصفة الشمول ،أو العموم،أو الجنسية كقولنا :رجل

2 ـ قسم يدل على كيفية طويل ، بدين، ذكي....

3 ـ قسم يدل على حدث جاء ،دوَن ،جعل وغيرها .

4 ـ قسم يدل على ذات نحو أسماء الأعلام ،كمحمد وصفية ...([1]).

فالهنود تناولوا شروح الألفاظ من خلال نشاطهم المعجمي الذى ارتبط أول الأمر بالنصوص المقدسة ،ثم تحرر منها ليتناول مايراه غامضا مستغلقا على الأفهام في محتلف النصوص .

([1]) أحمد مختار عمر ،علم الدلالة،ط1 .القاهرة :1985 ،عالم الكتب،ص 18 - 19 .

2. الدلالة عند اليونان :

لقد اهتم اليونان أيضا بالدلالة ، وربما كان اهتمامهم مشابها لاهتمام الهنود ،لكن الذي يميزه هو أنَه ظهر أكثر عند الفلاسفة، وأهل المنطق، الذين اهتموا جميعا بعدَة قضايا دلالية ،وتطرقوا لدراسة الألفاظ ودلالتها .

وإذا عدنا إلى التراث العربي اليوناني، وجدناه حافلا بختلف القضايا والنقاشات المرتبطة بصورة أو بأخرى باللغة عموما ، وبالدرس الدلالي خصوصا .

ولعل ابرز تلك المناقشات التي دار الحديث عنها بين الفلاسفة هي الفرق بين الصوت و المعنى , فقد تكلم أرسطو عن هذا الموضوع ,و ذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر وميز بين ثلاثة أمور هي :

- الأشياء في العالم الخارجي .
- التصورات= المعاني .
- الأصوات= الرموز أو الكلمات .[1]

فهو يرى أن الصلة بين اللفظ و المعنى اصطلاحية يتواضع عليها في مجتمع ما ، أي ما تثيره هذه الألفاظ في الذهن هو ما تعارف عليه الناس .

([1]) المرجع السابق ،ص17 .

فالعلاقة بين الرمز اللغوي والمعنى حسب أرسطو هي علاقة عرفية ، بحكم ما نجده في عالمنا من تغير مستمر ،وأن ما يصيب الألفاظ ،أو معانيها من تبدل ليس نتيجة لتأثير عنصر الزمن فيما هو طبيعي بالأصل ، بل إنه يحدث حال ما يتفق الناس على ذلك التغير.

ونجده يوضح موقفه من طبيعة العلامة اللغوية في علاقة اللفظ بمعناه،من خلال الفصل الأول في كتاب (التفسير)، حيث يرى أن الكلمات المنطوقة تمثل رموزا واشارات للانفعلات أو الانطباعات النابعة من الروح، بينما تمثل الكلمات المكتوبة رموزا للكلمات المنطوقة.

وهذا النص كما هو جلي،التعبير الآخر عن معنى الاعتباطية التي التقطها " دي سوسير" وأمثاله ،وبنوا عليها في الفكر اللغوي الغربي الحديث .[1]

ومعنى هذا أن الرموز اللغوية والألفاظ حسب أرسطو ماهي إلى علاقة غير معللة تتحكم فيها الجماعة اللغوية وتسيرها وتنفي عن نفسها الزمنية، وبتعبير آخر يمكن القول إن العلاقة بينهما اصطلاح واتفاق بين الناس.

([1]) نواري سعودي أبوزيد،الدليل النظري في علم الدلالة،دط.الجزائر :2007 ،دار الهدى ،ص71 .

ولقد تطرق أفلاطون لموضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله في محاوراته عن أستاذه سقراط، وإن كان يعتقد أن تلك العلاقة بدأ يكتنفها الغموض ،وصعوبة الوقوف على سمة التبرير فيها ،بازدياد نماء الذخيرة اللغوية، وكثرة مفرداتها، وتعرضها للتغيير المستمر ، وهو تغيير قد يصيب اللفظ أو المعنى.([1])

ذلك أنه يدرك أن الصلة بين اللفظ ومدلوله قد تنقطع نتيجة لتطور أصوات اللغة ،ولم يستطع اثبات هذه الصلة ، وذهب إلى القول بأن تلك الصلة الطبيعية تكون سهلة وواضحة المعالم من نشأة هذه الأصوات، و مع مرورالزمن تتطورت الألفاظ ، و لم يعد من السهل عليهم تفسير هذه الصلة و تعليلها .

و أخيرا اكتفينا بالحديث عن الهنود و اليونان دون غيرهما من الأمم الأخرى(مصريين قدماء ، فينيقيين ، رومان...) وعند كل هؤلاء اشارات يمكن عدها ضمن موضوع علم الدلالة ،لوضوح الاهتمامات اللغوية عندهم و كذلك لتعدد مسائلها الدلالية .

([1]) مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين، ط1. الإسكندرية: 2014، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ص23.

المبحث الثاني : الدلالة في التراث العربي .

إن الجهود اللغوية القديمة لاسلافنا الباحثين ، من الهنود أو اليونان فتحت كلها منافذ كبيرة للدرس اللغوي و للبحث الألسني و الدلالي العربي .

فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون الثالث و الرابع و الخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها ،و هذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجا أحرزته العربية .[1]

و كان البحث في دلالات الكلمات من أهم مالفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، ومثل الحديث عن مجاز القرآن من أبرز اهتمامات علماء العربية .[2]

فالباحثون العرب و اللغويون و الفلاسفة و الأدباء كانت جلَ بحوثهم و دراساتهم من أجل فهم و تفسير القرآن الكريم و خوفا من الوقوع في اللحن .

ولعلنا في هذا المقام يكفينا التمثيل بسبب وضع النحو، حين لحن قارئ في آية قرآنية وقرأ: أن الله بريئ من المشركين و رسوله – بجر لفظ رسول – بدلا من ضمه ، و في ذلك تحريف أدى إلى أن يبرأ الله من رسوله بدلا من أن يكون الرسول هو البريئ من المشركين .

([1]) فايز الداية ،علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ط2. دمشق: 1996، دار الفكر، ص6 .
([2]) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص20 .

فالقرآن الكريم كان بمثابة الحافز الذي جعل علماء العربية يجتهدون بهذا النحو، إضافة إلى اعتزازهم بتلك الألفاظ العربية وإعجابهم بها، وحرصهم على الكشف عن أسرارها وخبياها ومن أهم المفكرين العرب الذين اهتموا بمباحث علم الدلالة نجد الجاحظ :

أ . الجاحظ :

وذلك في كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان)،حيث تناول فيهما مباحث متعددة لها ارتباط وثيق بموضوعات علم الدلالة ،وعلاقتها بطرق تأديتها، حيث قسم هذه العلاقة إلى أصناف، متناولا وظائف الكلام، لأن ذلك هو جوهر البيان، وفي إطار تناول الدلالة السياقية، تكلَم عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام، وهي حالة بلاغية تحدث فيها عما يحدثه معنى اللفظ عند السامع من فهم، لا يتعدى فيه المتكلم حدود دلالة الألفاظ على المعاني عند المتلقي.[1]

ويقصد الجاحظ بالدلالة السياقية أن معاني الكلمات تفهم وتحدد من خلال سياقها وفي المقام الذي نتكلم فيه، ولذلك يقال لكل مقام مقال .

([1]) مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين، ص14 .

وما يظهر في دراسات الجاحظ من حسن التأليف بين الحروف والألفاظ، فيقول وهو يعرض صفات الحروف التي تتوافق لتشكل لفظا صحيحا والحروف المتنافرة التي تجتمع ليس في لسان العرب فحسب، بل وفي ألسنة العجم من الفرس والأجناس غير العربية.

أما عن اقتران الحروف فإن الجيم لاتقارن الطاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير.[1]

و ليست البلاغة عند الجاحظ إلا أن تؤلف في نسق صحيح بين كلمات أو بين حروف اللفظ ثم تراعي حسن موقع المعنى، والجاحظ يقول: لا يكون الكلام لايستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك ،ويقول أيضا:إنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها،وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها ،والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة فعلى قدر المعاني تأتي الألفاظ .[2]

ومعنى هذا أن الجاحظ اهتم بالألفاظ والمعاني ويقول بضرورة الموازنة بين الألفاظ والمعاني والمساواة بينهما. فالألفاظ تحتاج للمعاني والمعاني تحتاج للألفاظ، فكل واحدة تكمل الأخرى .

كما تطرق الجاحظ لأصناف العلامة وهي خمسٌ: اللفظ، الإشارة، الخط، الحال أو النصبة .

([1])منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دط. الجزائر: 2010، ديوان المطبوعات الجامعية، ص144 .

([2]) المرجع نفسه ،ص145 .

ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة احبتها، وحيلة مخالفة لحيلة أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائها في التفسير.

وكان الجاحظ قد أشار إلى هذا التقسيم لأدوات البيان كان من الأحسن أن يكون في أول الكتاب ،وذلك لشمولية تلك الأدوات لكل مرامي البيان ،ومستويات الكلام البليغ.[1]

فقد قلنا الدلالة باللفظ. فأما الإشارة ،فباليد ،وبالرأس وبالعين وبالحاجب وبالمنكب ،واللفظ شريكان ،ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط.

فأما الخط ،فما ذكر الله عز وجلَ من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب ،قوله لنبيه عليه السلام {{اِقرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمْ(3)الذِي عَلَمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ }} .أقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل، حيث قال:{{نٌ وَالقَلَمِ وَمَا يَسَّطَرُونَ}}، ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين. والكتاب يقرأ بكل مكان، ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره .

([1]) المرجع السابق نص146 .

وأما القول في العقد ،[1]وهو الحساب دون اللفظ والخط ،فالدليل على فضيلته قول الله عز وجل :{{فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَل الْلَيلَ سَكَنَا وَالشَمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمْ}} .

وقال: {{وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِنِينَ وَالحِسَابْ }}، والحساب يشتمل على معاني كثيرة ومنافع جليلة ،ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عزَ وجلَ معنى الحساب في الآخرة .

وأما النصبة ،فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمثير بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق ،ومقيم وظاغن، وزائد وناقص. فالدلالة في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة ،والعجماء مُعربة من جهة البرهان.[2]

وسر هذا التصنيف لأنواع الدلالات عند الجاحظ لايزال لغزا لكن يبدوا أنه قائم على أن اللفظ ينحدر من الإشارة، والإشارة من العقد، والعقد من الخط ،والخط من النصبة .

([1]) العقد: ضرب من الحساب بأصابع اليد، ويقال له حساب اليد وقد ورد في الحديث الشريف: (عقَد عقد تسعين) .

([2]) (ينظر) خليفة بوجادي ،محاضرات في علم الدلالة، ص60 - 61 .

2 . عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ .44 هـ) .

اهتم الجرجاني اهتماما بالغا بدراسة المعنى ،ومكّن له في مؤلفاته ، وأقام عليه نظريته المشهورة في النظم .

هذه النظرية التي ترى أن المفردات على الرغم من أهميتها إلا أنها ليست لها دلالة ،ذلك أن الدلالة نتيجة لضم الكلم بعضها إلى بعض ،وسبيل ذلك توخي معاني النحو و أحكامه ، فلا نضم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ،ويبني بعضها على بعض ،وتجعل هذه بسبب من تلك .[1]

فالفظ ليس له معنى إلا إذا أقترن بلفظ آخر و ذلك بمراعاة قواعد النحو .

تأسست نظرية (النظم) من خلال دلائل الإعجاز ،ا تناول ضمنها مباحث تتمحور كلها حول قيمة اللفظ في حالتيه الافرادية و التركيبية ، وعلاقته بالمعنى وما تعرف عنها من مباحث أخرى .[2]

فالجرجاني كان هدفه من (النظم) هو فهم وتحليل القرآن الكريم و الكشف عن معاني الألفاظ حينما تكون اللفظة داخل التركيب .

([1]) نو الهدى لوشن ،علم الدلالة (دراسة وتطبيق) ،دط ،الاسكندرية :2006 ،المكتب الجامعي الحديث ، ص45 .
([2]) منقور عبد الجليل ،علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ،ص 237 .

كما تطرق في نظريته للعلامة اللسانية التي تمثل علاقة (اللفظ بالمعنى) والتي سماها بالنظم ،ويذكر أنه (ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاضه في النطق ،بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل .[1]

وحدد بصورة دقيقة كيفية اختيار المتكلم للمعاني والألفاظ أثناء الموقف الكلامي فيقول :إذا كانت الألفاظ أوعية للمعاني ،فإنها لا محالة تتبع المعاني في موقعها ،فإذا وجب للمعنى أن يكون أولا في النفس ،وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق . [2]

حيث هناك مطابقة بين اللفظ ومعناه من حيث مناسبة كل منها للآخر .

فليس المهم أن تتولى الأفكار و الألفاظ في التركيب ،بل أن تكون لهذه الأفكار و الألفاظ معان تعبر عنها ،فالألفاظ التي لا تحمل دلالات ليس لها قيمة .

وما يلاحظ أن الجرجاني يعطي الأسبقية للمعاني في الوجود النفسي والألفاظ تابعة لها في الواقع الكلامي ،وهذا ما يفسر لانهائية المعاني التي أقرها علماء الدلالة المحدثون مقابلة نهاية الألفاظ .[3]

وهذا يعني أيضا أن المتكلم قبل أن يتلفظ بلفظ ما ،فإن هذه الألفاظ موجودة في ذهنه على شكل معان وبالتالي يقوم بتجسيدها في ألفاظ .

([1]) طالب محمد إسماعيل ،مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري ،ط1 . 1432 ه - 2011م ،ص27 .

([2]) منقور عبد الجليل ،علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث اعربي ،ص 237 .

([3]) المرجع نفسه ،ص238 .

يدل هذا على أن المعاني سابقة للألفاظ .وينظر أيضا إلى اللفظ والمعنى كطرفين لا ينفكان يشكلان ما سمّاه علماء الألسنة المحدثون بالعلامة اللسانية أو الدليل اللساني (signe linguistique) ومنهم العالم " دي سوسير " الذي يقيمه على الدال والمدلول .[1]

فالفظ والمعنى تجمع بينهما علاقة غير معللة فلا وجود للألفاظ بدون معاني ولا معاني بدون ألفاظ فكلاهما يكمل أخر .

([1]) المرجع السابق ، ص239 .

3 . ابن جني :

يعد ابن جني من العلماء الذين ساهموا بشكل كبير في الدراسات اللغوية والنشاط الفكري ،فقد قدم نموذجا مشرقا لمباحث اللغة في التراث العربي المعرفي ، فبدت اللغة العربية في الخصائص لغة لا تضاهيها لغة لما اشتملت عليه من سمات حسن تصريف الكلام ،والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء ،كما فتح أبوابا بديعة في العربية لا عهد للناس بها قبله كوضعه لأصول الاشتقاق بأقسامه ،ومناسبة الألفاظ للمعاني .[1]

فقد تناول ابن جني مسائل مختلفة ،يمكن إدراج كثير منها ضمن موضوعات علم الدلالة ،ومن ذلك أنه كشف العلاقة بين الأصوات والمعاني ،حيث ربط الصيغة الصرفية للكلمة بدلالتها ،على نحو ما فعل الخليل وسبويه قبله .

يقول ابن جني في الجزء الأول من " الخصائص " إن الدلالة على القصد أكرم غايات اللغة وأقوى أهدافها ،وفي موضوع ثان من الخصائص يبين الفرق بين الدلالة اللفظية ،والصناعية والمعنوية .

([1]) المرجع السابق ،ص 206 .

فيقول : " اعلم أن كل واحدة من هذه الدلائل معتد ،مراعي مؤثر ،إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب : فأقواهن " الدلالة اللفظية " ثم تليها " الصناعية " ثم تليها " المعنوية " فهذه دلائل من لفظه وصيغته ومعناه " [1]

وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا ،فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزل بها .[2]

فابن جني هنا يقسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام هي لفظية ،صناعية ومعنوية ويفاضل بينهما جاعلا الدلالة اللفظية على رأس الدلالات الأخرى .

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي :

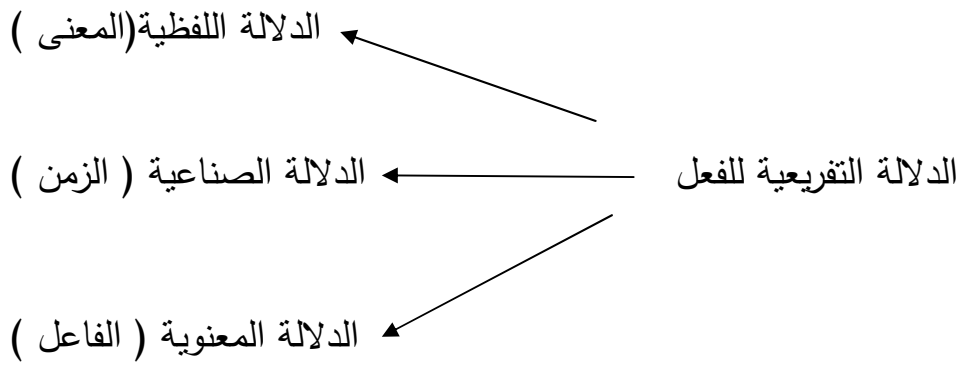

([1]) طالب إسماعيل ،مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري ،ص25 .
([2]) المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

1 ـ الدلالة اللفظية :ويعني بها الدلالة المعجمية ،وقد عدها ابن جني على رأس الدلالات الثلاثة لأنها دلالة أساسية تعد جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية .

وما يجد ر ذكره أن قيمة الدلالة الأساسية للصيغة الصرفية ،تعتبر المركز الذي يستقطب كل الدلالات المتفرعة عنه .

2 ـ الدلالة الصناعية : هي دلالة بنية (اللفظ) وهي تلي الدلالة اللفظية يحمل صورة الحدث الدلالي المستغرق لحيز زماني ،فالدلالة الصناعية مع أنها دلالة غير لفظية وإنما يستلزمها اللفظ في حكم الدلالة اللفظية التي هي صورة تلازم الفعل فالزمن يكون ملازما دائما للفعل.

3 ـ الدلالة المعنوية : إن الفعل يحدد سمات فاعلة وذلك من جهة دلالية ويعرف ذلك بطرق الاستدلال ،فيتحدد جنس الفاعل ،وعدده وحاله فعندما نسمع الفعل (ضرب) فقد عرفنا حدثه وزمانه ثم ننظر فيما بعد فنقول :هذا فعل ولابدّ له من فاعل ،فنبحث حينئذ إلى أن نعلم الفاعل من هو وما حاله ،من موضع أخر لا من وضع مسموع ضرب ،ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعلا كل مذكر يصح منه الفعل مجملا غير مفصل . [1]

ويفهم من هذا الكلام أن ابن جني قد تفطن للفرق بين" الدلالة الصرفية " و" الدلالة المعجمية " ،حين ميز بين الدلالتين " اللفظية " و " الصناعية "

([1]) منقور عبد الجليل ،علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ،ص 211 - 213 .

في باب خصصه للفرق بين الدلالة اللفظية و الصناعية والمعنوية حيث استعمل الأولى بمعنى قريب من الدلالة المعجمية ،في حين استخدم الثانية لنوع من نوعي الدلالة الصرفية وهي دلالة الصيغة .

الفصل الثاني

الدرس الدلالي

عند " دي سوسير "

الفصل الثاني :الدرس الدلالي عند " دي سوسير " .

ويتضمن :

المبحث الأول :طبيعة العلامة اللغوية .

1 . ميزة الاعتباطية .

2 . ميزة الخطية .

3 . الشكل والمادة .

4 . ثبوت العلامة اللغوية .

المبحث الثاني : النظام اللغوي والدلالة .

1 . مفهوم النظام .

2 . القيمة اللغوية .

3 . العلاقة التركيبية والترابطية .

الفصل الثاني: الدرس الدلالي عند " فرديناند دي سوسير".

المبحث الأول : طبيعة العلامة اللغوية .

تعريف العلامة اللغوية: يرى" فرديناند دي سوسير" أن العلامة اللغوية (Signe linguistique) لا تربط بين لفظ وشيئ ،ولكنها تربط بين مفهوم (Concept) وصورة سمعية (acoustique Image) .

بهذا المعنى لا تربط العلامة اللغوية (اللفظ) بالشيئ الموجود في العالم الخارجي ربطا مباشرا ،أي إنها لاتربط الشيئ المسمَى بالإسم، بل تستند إلى الشيئ الموجود في العالم الخارجي صورة مفهومية (Image Conceptuelle) تقابلها صورة سمعية، وليست الصورة السمعية هي الصورة الصوتية المادية الفزيائية فحسب، ولكنها الإنطباع الذي تثيره هذه الصورة في أنفسنا .[1]

وهذا يعني أن العلامة اللغوية كيان ذو وجهين لايمكن أن يستغني طرف عن الآخر، فالصورة الذهنية تكمل الصورة الصوتية والعكس صحيح .

([1]) مصطفى غلفان ،اللسانيات اللبنيوية منهجيات واتجاهات، ط1 .ليبيا :2013،دار الكتاب الجديد المتحدة، ص170 .

طبيعة العلامة اللغوية :العلامة اللغوية ذات طيعة مركبة ، وهي توليفية من الشكل الصوتي الذي يشار إلى المعنى وهو الدال(Signifiant) والمعنى نفسه وهو المدلول (Signifié) .[1]

أ) . الدال (Signifiant) : حسب مفهوم " دي سوسير" يتمثل في الصورة السمعية، أو مجموع الأصوات المعبرة، أو فلنقل اللفظ، ولا يشترط أن اللفظ منطوقا دائما على وجه الحقيقة ، وإلا تعذرت عملية التفكير في أساسها ،لأن فيها يستدعي الإنسان صورا سمعية ير منطوقة هي انطباعات الأصوات في النفس .

ب) . المدلول (Signifié) : يتمثل في الصورة الذهنية أو ما يترسم في الذهن، بحكم التكرار من جهة ،وبفعل حصول التعزيز لذلك التصور من جهة ثانية ،ذلك التعزيز كلما قويت درجته ازدادت إمكانية تحرر الإنسان من سلطة الأشياء التي تحيطه من كل جانب، حيث أثناء استدعاء اللفظ إلى الذهن أو السمع يستحضر الشيئ في اللحظة نفسها تقريبا .[2]

أما عن موقف " دي سوسير" من طبيعة العلامة اللغوية بين الدال والمدلول فنجده معارضا للاعتقاد القديم الذي كان يرى أن اللغة ليست سوى قائمة أشياء مناسبة للأشياء الطبيعية ، فالعلاقة بينهما ماهي إلا علاقة اعتباطية ويأتي بالحجج الآتية :

([1]) نعمان بوقرة ،محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، دط ،الجزائر :2006 ،منشورات جامعة باجي مختار- عنابة، ص60 .

([2]) ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1 .بيروت :2004 ،أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ،ص.13

أولا: أن العلاقة بين اللغة والفكر شبيهة بالورقة وجهها الفكر وظاهرها اللغة ،ومن الخطأ أن نقول بأسبقية الفكر في الجدلية القائمة بينهما، فلا يمكن أن نميز بين الأفكار دون الاستعانة بالعلامات اللسانية، فلا شيئ يوجد بدون لغة ، ولذلك ليس من اللائق التحدث عن أولوية أو أفضلية أحدهما عن الآخر .

ثانيا: الافتراض أن العلاقة بين الإسم والمسمى عملية سهلة وهذا غير حقيقي. ويرى " دي سوسير " في هذا المجال أن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم بل تصورا بصورة سمعية، وهذه الأخيرة ليست الصوت المادي ،بل هي الدفع النفسي لهذا الصوت.[1]

فهو بهذا القول يضع حاجزا فاصلا بين العلامة من حيث هي حقيقة نفسية ،والشيئ الذي تحيل إليه في الواقع الخارجي ،أو الموجود في الأعيان ،والذي يسمى بالمرجع (Referent) أو المدلول عليه .

([1]) نعمان بوقرة ،محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص91 .

ولذلك يجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى بعض الاعتراضات على المفاهيم التي جاء بها " دي سوسير " :[1]

منها اعتراض ريتشارد (Richards) وأوجدن (Ogden) للعلامة اللغوية حيث قام بإعتراضها اعتراضا شديدا في كتابهما معنى المعنى" The meaning of meaning" حيث أشارا إلى أهمية التحليل المزدوج الذي يتناول العلاقة بين الكلمات والأفكار من جهة ، والأشياء المشار إليها من جهة أخرى وقد اختصرا فكرتهما في مثلث اشتهر في الدراسات الدلالية :

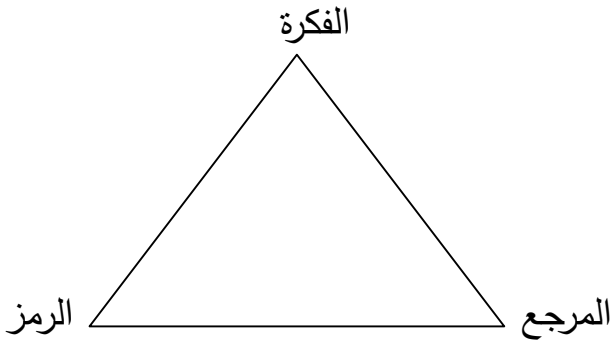

*ولد فرديناند دي سوسير في جونيف بسويسرا في 17نوفمبر 1857م في أسرة لها حظ في العلم، درس في لايبيزيش الألمانية من 1876م إلى 1878م اللسانيات التاريخية والمقارنة ومن 1880م لى 1891م أقام بباريس وتولى خلال هذه المرحلة منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا .
رجع إلى مسقط رأسه ،واستقر هناك يدرس في جامعة جنيف إلى أن وافته المنية سنة 1913م نتيجة سرطان أصابه في حلقه ،وهكذا قضى دي سوسير جلّ حياته في دراسة اللسانيات التاريخية وتدريسها، وبدون منازع يعد هذا المفكر السويسري اليوم أب اللسانيات الحديثة ومؤسس المنهج الآني واللسانيات البنيوية والسمياء .
وبعد وفاته قام تلميذاه شارل بالي (Ch.bally) وألبرت سيشهاي (A.sechehoy) بجمع محاضراته في كتاب سمياه "محاضرات في اللسانيات العامة" وطبع لأول مرة سنة 1916م .

([1])ينظر : أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ط2 .الجزائر :2005 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ص118 - 119 .

وأصبحت هذه النظرية تعرف بالنظرية المنطقية او الاحالية ، فالإجراء التحليلي للعلامات في الواقع يجب أن ينطلق من مستوين :

1- مستوى يتناول العلاقة بين الكلمات و الأفكار .

2- مستوى يتناول العلاقة بين الأفكار و الأشياء .[1]

فقد جعلا الأشياء غير اللغوية تمثل الركن الثالث في مثلثهما ، فالرمز يقابل الدال عند " دي سوسير " ولكن " أوجدن " و " ريتشاردز" يستخدمان مصطلح العلامة مرادفا لمصطلح الرمز ، و الفكرة تقابل المدلول عند " دي سوسير " و المشار إليه " المرجع " غير موجود عنده ، بينما الفكرة ترتبط بخطين متصلتين بالمرجع و الرمز معا ، لأنها هي العلاقة التي تربط بينهما ، و هما في هذا الجانب يتفقان مع " دي سوسير " الذي يربط الفكرة و الرمز ،و يرى أن المدلول يثير في الذهن الدال ، فالفكرة هي التي تستحضر الرمز.

([1]) ينظر :أحمد حساني ،مباحث في اللسانيات ،ط2 .الإمارات العربية المتحدة ،2013 ،منشورات كلية الدراسات الإسلامية العربية ،ص41 .

1. الاعتباطية :

يمثل مبدأ الاعتباطية حجر الزاوية بالنسبة إلى تصور " دي سوسير " للظاهرة اللسانية .

صاغ " دي سوسير" نظرية حول العلاقة بين الدال و المدلول ،و رأى بأن مايربط بينهما ليس سوى اصطلاح غير معلل ، أي اعتباطي ، و ببساطة أكثر ، يمكن القول أن العلامة اللغوية اعتباطية ،ذلك أن العلامة حسب تعريفنا السابق هي مجموع ما يربط بين الدال و المدلول .

تتجلى الاعتباطية في عدة مستويات و ليس في العلاقة بين الدال و المدلول فقط ، فهي قائمة أيضا بين الدال و المدلول عيله ، و بين المدلول المدلول عليه لنأخذ العلامة اللغوية " كتاب " فالدال هو المتتالية الصوتية المشكلة للعلامة يكون إما الدلالة التي تثيرها فينا الدال / كتابن / منطوقا أو مكتوبا ، كأن نقول أن مدلوله هو : مؤلف +عنوان + عدد الصفحات + صفحات مطبوعة + محتوى فكري .

فلا علاقة إذن بين الوحدات الصوتية و الوحدات المدلولية أو التصويرية ، فالكاف في العلامة " كتاب " لا تقابل السمة المعنوية " مؤلف " و التاء لا تقابل السمة له عنوان و " الباء " لم توضع للدلالة على السَمة المدلولية التصورية " عدد الصفحات من الكتاب " وهكذا...[1]

([1]) مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات ،ص172 .

و تظهر الاعتباطية في أن دالا معينا يطابق مدلولا معينا في الواقع ، و من ثم فإن العلامة اللسانية هي تقسيم الواقع عن طريق التواضع لا غير ، فهي بمعنى الاتفاق و الاصطلاح ،عكس المفهوم العفوي لدى المتكلم الذي يرى العلامة اللسانية كأنها اسم للواقع .

و لذلك فإن الاعتباطية في العلامة اللسانية في نظر" دي سوسير" لاتعني أنها عائدة إلى اختيار حر يقوم به متكلم اللغة ، و إنما نعني بالاعتباطية أن الدال غير معلل ، اعتباطي بالنسبة للمدلول الذي لا تربطه به أية علاقة في الواقع .[1]

و معنى هذا أن الانسان لا يستطيع أن يتعرف الى المعنى الذي تشير إليه الأصوات عن طريق إيحائها ، و إنما يستطيع الوصول إليه عن طريق الاتفاق المتعارف عليه في البيئة الواحدة أو بين أفراد الجماعة اللغوية ، و أوضح أن الاعتباطية تجعل أمر هذا الصوت يشير إلى ذلك المعنى متروكا للفرد كيفما يشاء لأن العلامة اللغوية التي تستعمل في المجتمع يتحقق لها الذيوع فتغدو مفروضة في الجماعة عن طريق الاتفاق بينهم ، و الحجة على ذلك أن الاشارات الصوتية التي يتكون منها لفظ " قمر"(ق، م، ر) يمكن أن نجدها في ألفاظ أخرى مثل " قلم " (ق، ل، م) و لاتوحي بأي معنى .

([1]) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص36 .

و لقد أثار مبدأ الاعتباطية ردود أفعال كثيرة و مختلفة بين القبول و الرفض ، و قد قوبل تصور " دي سوسير " لاعتباطية العلامة بمجموعة من الملاحظات المتفاوتة الأهمية ، أهمها تلك التي قدمها اللساني الفرنسي إميل بنفنيست حول طبيعة العلامة اللغوية.

فدي سوسير بحسب بنفينيست ،حين يقارن بين كلمة الفرنسية / bof / ونظيرتها الألمانية /OKS/ (ثور) ،يقر أنهما مختلفان على مستوى الدال، على الرغم من أنهما تحيلان على الشيئ نفسه .

يقول بنفينيست: من الواضح أن الإستدلال خاطئ بسبب اللجوء اللاواعي والاختلاسي إلى مصطلح ثالث لم يفهم جيدا في تعريفه الأولي .هذا المصطلح الثالث هو الواقع نفسه .[1]

فمثلا عندما نستحظر كلمة ثور في أذهاننا نتصور هذا الحيوان العشبي ولا نستحظر صورة حيوان آخر، إذ أصبح اللفظ يطابق ذات الشيئ في العالم الخارجي وعندما نقول مسطرة أيضا فلأنها تسطَر ،ومحفظة لأنها تحفظ الأدوات، وكذلك المربع لأنه يتكون من أربعة أضلاع، ودائرة لأنها دائرية إلى غير ذلك من الأشياء .

فكل لفظ يعكس طبيعة الشيئ ويعبر عن هويته ،ولم يوضع بطريقة عشوائية ،عندما يستقبل الذهن كلمة مجهولة يرفضها باعتبارها غريبة لا تحدث أي تصور، ولا توحي بأي معنى .

([1]) مصطفى غلفان ،اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص175 .

وصواب ملاحظة " بنفينيست " لا ينفي العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول، لأن ما هو ضروري أو على الأصح ما أصبح ضروريا من تلقاء نفسه نتيجة تشابه أو تطابق من أي نوع كان بين الدال والمدلول، ففي البدء كانت الاعتباطية هي المنطق ،لتصبح العلاقة نتيجة العرف والاصطلاح ثانيا وأخيرا ضرورية .[1]

ومجمل القول أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة الاعتباطية غير مبررة بدليل إمكانية تطور كل منها بصورة مستقلة عن تطور الآخر ، ولو كانت العلاقة بينهما مبررة لاستحال ذلك بدليل اختلاف اللغات في تسمية نفس المسميات .

([1]) المرجع نفسه، ص177 .

2 . ميزة الخطية : (Linéarité)

المبدأ الثاني الذي يحكم العلامة اللغوية بعد مبدأ الاعتباطية، هو صفة الدال الخطية، تلك الصفة التي لم ينتبه إليها اللسانيون سابقا رغم دورها المحوري في انتظام اللسان .

ولما كان الدال ذو طبيعة سمعية ،فإنه يمتدَ في الزمن فحسب ،بكونه أولا يمثل اتساعا وثانيا لإمكانية قياسه في بعد هو الخط .

وبما أن عناصر الدال السمعية تظهر الواحدة بعد الآخرمشكلة بذلك سلسلة، يترتب عن هذا المبدأ أنه لا يمكن أن نتلفظ بعنصرين في وقت واحد، وهي ملاحظة تبدوا عادية وبديهية ،لكنها تكتسي أهمية بالغة في تمييز دوال النسق اللغوي عن دوال النسق البصري .[1]

بمعنى أن الركيزة المادية للدليل اللغوي هي الصوت، فإنه عند إحداث الأصوات تتسلسل عبر الزمن في خط واحد أفقي يسمى مدرج الكلام ،فمثلا كلمة (خرج) من خلال نطقها تأتي حروفها متسلسلة(خ + ر+ ج)، وإذا ما غيرنا في تسلسل هذه الحروف (ج + ر+ ح) فإن هذا يؤدي حتما إلى تغير المعنى.

([1]) المرجع السابق ،ص178 .

إن عمل اللغة بأكمله يعتمد على الخطية ويختلف الدال السمعي عن الدال البصري في أن الدال البصري (كإشارة الملاحة مثلا) ،يوفر إمكانية قيام مجموعات على عدة أبعاد في آن واحد، في حين إن الدال السمعي يظهر على التعاقب .[1]

إذن المبدأ الخطي إجباري، فالغة تمر عبر خط معين ،وبالتالي فاللغة ليست مجموعة وحدات وإنما بنية على الأقل تشكل خطا (مجموعة من الخطوط المتتالية) وكل ترتيب يشكل خطا من الخطوط ،فالسلسلة الخطية مهمة ،وعلينا أن نستغلها في تركيب أفكارنا .

([1]) فرديناند دي سوسير، علم اللة العام ،ترجمة يوئيل يوسف عزيز ،ط3 .بغداد :1975 ،دار آفاق عربية ،ص79 .

3. ميزة الشكل والمادة :

تقوم الظاهرة اللسانية على مادتين اثنتين هما الأصوات من ناحية و الأفكار من ناحية أخرى .

ومن خلال هذا انطلق " دي سوسير " في التأمل في طبيعة هذين العنصرين فلاحظ مايلي:

1 . في نطاق المادة القائمة على الأفكار والمتصورات :

" إن فكرنا بقطع النظر عن التعبير عنه باللغة لا يعدو أن يكون كتلة مبهمة الشكل غامضة الملامح ".[1]

بمعنى أن الفكر إن لم يعبر عنه بلغة يبقى غامضا ويمكن أن ندرجه في خانة المكبوتات فميدان الأفكار ضباب لا يمكن أن تقوم فيه تماثلات أو تقابلات واختلافات ثابتة وهو قابل لأن يقطع حسب امكانيات لامتناهية .

ولا وجود لمقتضيات تفرض تقطيعه حسب طريقة دون أخرى ، و يستدل" دي سوسير" على ذلك باختلاف المجتمعات في تقطيع نفس التجارب ألوان قوس قزح ،مجاري المياه ...

2 . في نطاق المادة القائمة على الأصوات :

يلاحظ " دي سوسير" أن شأن الأصوات في ذلك ليس بأفضل من شأن الأفكار ،وإن المادة الصوتية ليست أكثرثبوتا وصلابة .

(1) محمد الشاوش وآخرون،أهم المدارس اللسانية ،ط2 .تونس :1990 ،منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، ص33.

إذ ليس في المستوى الصوتي أيضا وحدات مضبوطة الحدود بيّنة المعالم محددة سلفا ،ومن الخطأ أن نعتبر سلسلة من الأصوات في حدّ ذاته قالبا بل هيمادة مبهمة إبهام الأفكار مجردة ،والدليل على ذلك أن المادة الصوتية لا تقطع بنفس الطريقة في جميع اللغات . [1]

ويقتضي"الصوت الفكر"أو " الفكر الصوت "وجود عملية تجزئة (une segentation) تفضي إلى تجزئات (Articulation) هي التي تمثل الوحدات اللغوية .

وإلى هذه الفكرة ترجع تلك القولة التي ما فتئ " دي سوسير " يرددها« اللغة شكل لامادة » و إليها تستند تلك الجملة التي ختم بها الناشرون دروسه " إن موضوع الألسنية الحقيقي والوحيد إنما هو دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها .[2]

ومجمل القول هنا أن التقابل بين الشكل والمادة يختلف جوهريا عن ذلك الذي يقام بين الشكل والمضمون إذ مفاد هذا التقابل الثاني أن الشكل هو الصوت والمضمون هو المعنى وقد رأينا أنهما يندرجان معا في نطاق المادة .

([1]) المرجع السابق ،ص34 .
([2]) المرجع نفسه ،صفحة نفسها .

ومعنى هذا أن الصوت كمادة ليس هو اللغة في حد ذاته وأن الفكرة أو المعنى كمادة ليس هو اللغة في حد ذاته والدليل اختلاف الشعوب والأمم (بحسب اللغات) في تقسيم المادة الصوتية وكذلك المادة الفكرية أو المعنوية .

إنما اللغة هي ذلك الشكل الذي ينتج عن التماس بين الأصوات والمفهوم .

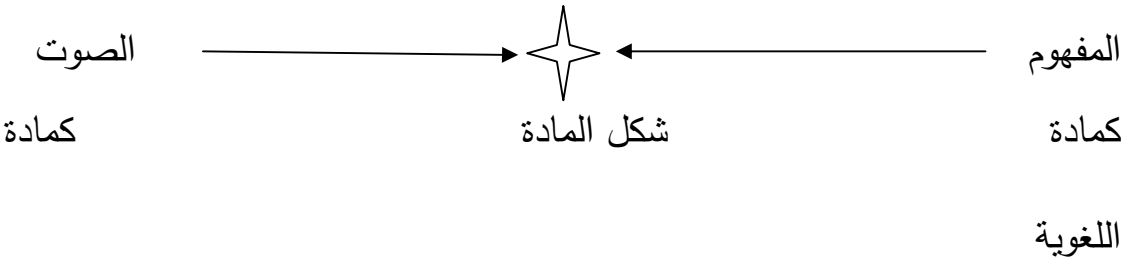

4. ثبوت العلامة اللغوية وتغيرها :

أ . ثبوت العلامة :

إن وصف العلامة اللغوية بالتغير والثبوت في آن واحد من قبل " دي سوسير " قد يبدو أمرا متناقضا ،ولكنه أراد بهذين النقيضين أن يؤكد على أن اللغة تتغير على الرغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغييرها .

فالعلامات عادة ما تميل إلى الثبوت ،لأن ثمة قوى تعمل على منع التغير اللغوي ،وتقاوم التبدّل الاعتباطي ،ومن بين هذه القوى كما يقول وترمان : الثورة المفرداتية الكبير، والبنية اللغوية المعقّدة ،والجمود الذي يميز اللغة ،بالإظافة إلى كون اللغة ملكا للجميع ،وأن جذورها ضاربة في عمق التاريخ ونحن ورثناها عن الأجداد ،وما علينا إلى تقبلها .[1]

لأن اللغة بطبيعة الحال ملك لمجموع الجماعة التي تستعملها ،ولكن هذه تتحقق فعلا كما يقول "دي سوسير" عن طريق العلامات الاجتماعية القائمة بين الأفراد ،فتؤدي إلى التواصل وتحقيق الكلام الفردي بين البشر والكلام الذي ينطق به الأفراد بالفعل ينسجم من حيث المبدأ مع المعايير التي تفرضها اللغة على المجتمع .

([1]) أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ،ط2 .الجزائر :2005 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ص 128 .

لكن سبق ذكر أن العلامة اللغوية اعتباطية ،فإن الحالات التي تطرأ على اللغة ماهي إلى نتاج عوامل تاريخية لها أن نقدم تفسيرات عن ثبوت العلامة اللغوية ،وذلك بوضع تفسيرات لذلك فهو بإمكانه أن يعدل في القوانين القائمة والموروثة من وقت إلى آخر ،فهذا الطرح يقودنا إلى أن نضع اللغة في واقعها الإجتماعي .

ب . تغير العلامة اللغوية :

إن للزمن الأثر الواضح الذي يكفل استمرار اللغة ،كما له الأثر كذ لك في تغييرها وتبد لها حيث تجري عليها تعديلات ،ويتم تبدل العلامة اللغوية بشكل سريع ،ومن هذا يرى " دي سوسير " أنه بإمكاننا أن ننسب صفتي الثبات والتبدل للعلامة اللغوية في نفس الوقت ،ذلك أن لكل منهما صلة وثيقة بالأخرى فهما متماسكان و العلامة حسب " دي سوسير" قابلة للتحول لأنها متواصلة عبر الزمن .

يجب أن لانخطئ في فهم معنى التغير فقد تسمى هذه التغريات الدال سواء كانت تغيرات صوتية وغيرها ،وما يلحق المدلول من تغيرات معنوية، ومهما كانت عوامل التغير هذه تعمل معا أو كل واحدة على حدى ،فإنها لاتؤثر في العلامة القائمة بين الدال والمدلول، ويضرب " دي سوسير " أمثلة كثيرة في هذا المجال من ذلك تغير الكلمة اللاتينية (necare) ومعناها باللغة العربية (قتل) ،وفي اللغة الفرنسية أصبحت (noyer) ومعناها (أغرق) [1]

فمن هذا التحول نجد أن الصورة السمعية لهذه الكلمة والتصور الذهني لها قد تغير معا، ومعنى ذلك أن الرابط الذي يربط الفكرة بالدال قد تلاشى ،ونجده يعطي مثالا كذلك في اللغة الألمانية القديمة، فكلمة ومعناها (الثلث) أصبحت في اللغة الألمانية الحديثة (dritteil).

([1]) فرديناند دي سوسير ،محاضرات في الألسنية العامة ،ترجمة يوسف غازي، ص97 .

ورغم بقاء الصورة المتصورة لهذه الكلمة ،إلا أن العلاقة بين الدال والمدلول تغيرت من ناحيتين ،الأولى هي أن الدال تغير من ناحية مضهره المادي ،والثانية من ناحية الصيغة النحوية له فقد أصبح كلمة بسيطة بعد أن كان كلمة مركبة ،فنجد أنه حدث تغير في العلاقة بينهما ،ونجد في اللغة الأنكلوسكسونية كلمة (fot) أي (قدم) بقيت على حالها في اللغة الإنجليزية (foot) ،أما في صيغتها في الجمع فقد تغيرت من (foti) أي (الأقدام) إلى (fet) ،واللغة الإنجليزية (feet) ومن هذه التغيرات نستطيع القول من خلالها إن العلاقة بين الدال والفكرة قد تغيرت ،ونجد اللغة عاجزة عن حماية تفسها من كل التغيرات التي تطرأ عليها ،فتؤدي إلى تزحزح العلاقة بين الدال والمدلول .[1]

أما عن المؤسسات البشرية كالعادات والتقاليد ،فإنها تقوم على العلاقات القائمة بين الأشياء ،فاللغة حرة في اختيار وسائلها وليست مقيدة .

ونجد (ويتني)" whitney " يلح كثيرا على صفة الاعتباطية ،إلا أنه لم يهتم بمسألة الاعتباطية تميز اللغة تمييزا كليا، ويتجلى ذلك من التطورات التي تحظى بها اللغة ،فاستعمال البشر للغة وفي الزمن نفسه يمنعنا من إلحاق أي تغير باللغة وانتقد " دي سوسير " (ويتني) بقوله إن اللغة لا تشبه المؤسسات الإجتماعية الأخرى في كل شيئ .

([1]) المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

فهي عبارة عن آلية معقدة وحضورها دائم مع الأفراد خلافا للمؤسسات الاجتماعية الأخرى . (مثل طقوس ديانة ما أو الإشارات البحرية ...)التي تشغل عددا محدودا من الأفراد في زمن واحد محدد ،إلى جانب كونها (اللغة) تقوم على مبدأ الاعتباطية الذي يجعلها عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد عوامل التبدل والتغير .[1]

فاللغة تتطور وتتغير نتيجة تأثير عوامل شتى ،سواء على مستوى الأصوات أو المعاني ،وهذا المبدأ يطبق على اللغات الاصطناعية فنجد صاحبها يبقي أسسها وقوانينها بيده ،وما إن يتداولها البشر وتصبح ملكا للجميع حتى تبدأ بالإفلات من يده، فتتوارثها الأجيال وتصبح إمكانية العودة بها إلى الوراء صعبة لمَ طرأ عليها من تغير .

ومجمل ما يمكن قوله هنا أن وجود اللغة دليل على وجود جمهور يستعملها ،ولا يمكنها أن تخرج عن إطارها الاجتماعي لها من خصائصها الداخلية ،ومن هذا نستطيع القول إن اللغة والجمهور المستعمل لها متلاحمين ،ولا ينفصلان وإذا نضرنا إلى اللغة في الزمن دون النظر إلى مستخدميها ، كأن تتصور شخصا عاش طوال حياته وحيدا ،فاننا نلاحظ أنه لاتوجد تغيرات في لغته ،ولا أثر للزمن فيها ،وإذا قلنا بوجود مستخدم اللغة ونقطع صلتها بالزمن ،فاننا لا نرى التأثيرات التي يخلفها مستعملوا اللغة على اللغة .

([1]) المرجع نفسه، ص98 .

ولإدراك واقع اللغة على حقيقته علينا أن نركز على أهمية الزمن في ذلك ،من هذا نستطيع القول إن اللغة ليست مقيدة ،ذلك لأن الزمن يساعد القوى المستعملة للغة على التأثير فيها واستمرارها الذي يؤدي بها طبعا إلى التغير .

المبحث الثاني :النظام اللغوي والدلالة .

1. مبدأ النظام :

كان اللغويون قبل " دي سوسير " ينظرون إلى اللغة على أنها مجموعة من الأصوات ، تلك العناصر المادية ،التي يمكن سماعها ونطقها ،وتتسم بخصائص فزيائية مميزة .[1]

ولما جاء " دي سوسير " ،عرف اللغة بكونها نظاما ،والنظام مجموعة من الوحدات يقوم بينها عدد من العلاقات تربط بعضها ببعض ،فإذا تغير عنصر كان لذالك التغير أثر على النظام كاملا .[2]

فهو يحدد علاقات الوحدات اللغوية مع بعضها البعض ،فإذا تغيرت وحدة لغوية أثر ذلك في الوحدة التي تقابلها .

" كما أنه مجموعة القوانين و القواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع ،وتمكنه من الدلالة ". [3]

ويتسم هذا النظام بكونه ليس وجودا ملموسا كما أن صفة الثبات منعدمة فيه ،فهو يتغير باستمرار ،ويتشكل من مجموعة من العلاقات الرابطة بين الوحدات اللغوية الداخلة فخصائص الكل ليست في الأجزاء ،بل في العلاقات الناشئة بينها .

([1]) محمد محمد يونس علي ،مدخل إلى اللسانيات، ط1 .ليبيا : 2004 ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 28 .
([2]) محمد الشاوش وآخرون ،أهم المدارس اللسانية ،ص19 .
([3]) عبد العزيز حمودة ،من البنيوية إلى التفكيك ،المرايا المحدبة ، ضمن إصدارات عالم المعرفة، العدد (232) ،أبريل: 1998 ، ص 701 .

فدارس اللغة عليه الانطلاق في تحليله اللغوي من العلاقات التي تربط بين الوحدات اللغوية للوصول إلى القوانين العامة أو النظام الكلي .

من جهة أخرى يقرر "دي سوسير " أن النظام مبني على أساسه على الاختلاف ،الأمر الذي أدى إلى التركيز على الثنائيات الحديثة .

إن اللغة إذن كنز اجتماعي من الوحدات والقوانين ،يمثل نظاما عاما لا يمكن للفرد أن يحيد عنه ،فإذا طلبنا من أي إنسان متعلم أن يصرف الفعل " كتب "مع جميع الضمائر في الماضي أو المضارع ،فإنه يحاول جاهد أن يتبع قواعد التصريف المتعارف عليها دون إلحاق تغير بنظام العام .[1]

إذ يعمل النظام على ضبط وتيرة الوحدات اللغوية وتقسيمها وتصنيفها ،ثم الوقوف على بيان ورها في تشكيل المعاني وإظهارها يعترض " دى سوسير " على من يعرف اللغة بأنها أصوات دون ذكر خاصية النظام ،يقول " إن أخطاء مصطلحاتنا ،وكل طرائقنا في تميز أمور اللغة المعنية إنما تصدرعن افتراض مقصود مضمونة أن هناك جوهرا في الظاهرة اللغوية " .[2]

فاللغة العربية مثلا ليست هي الأربعة وثلاثين صوتا التي تتألق منها ،بل الطرائق المختلفة التي تصرف بها تلك الأصوات لتكوين كلمات ،وجمل مختلفة وفقا لأغراض المتكلم الخطابية .

([1]) أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ،ص124 .
([2]) محمد محمد يونس ،مدخل إلى اللسانيات ،ص29 .

فجوهر نظرية " دي سوسير " يتمثل في جعل اللغة نظام علامات ،فالنظام كل عناصره متماسكة ،ويقتضي كل شيء الآخر بشكل متبادل كل عنصر يتحدد من خلال موقعه في التركيب الكلي .

فواضع اللغة استثمر عددا من الاحتمالات الممكنة لصوغ عدد كبير جدا من الكلمات بتقليب الأصوات على أوجه مختلفة ،وتأليف على أشكال متباينة لوضع كلمات جديدة ،ومستخدم اللغة يرّكب المصرفات والكلمات الموضوعة على أوجه مختلفة تناسب المعنى المراد نقله لمخاطبه .

ويتوقف نضم التراكيب اللغوية التي يستخدمها المتكلم على نوعين من العلاقات هي الاستبدالية والترابطية .[1]

فالنظام يحمل على تنفيذ وضم هذه الكلمات بتجاوزها إلى سلسلة من العلاقات المنتظمة في قواعد اللغة .

([1]) المرجع السابق ،الصفحة نفسها

2. القيمة اللغوية :

إن اللغة في نظر " دي سوسير" لايمكن أن تكون إلا نظاما من القيم المجردة ،وتكمن قيمة الكلمة في خاصيتها التي تمكنها من تمثيل فكرة معينة ،ولقد جاء هذا اللساني بمفهوم القيمة (la valeur) من الاقتصاد .[1]

فالقيمة تؤكد فكرة النظام وتقويه وتلتقي من جانب آخر مع الدلالة إلا أنها لا تساويها .

فهي أدق وألطف منها ،إذا هي تحصل عن علاقة الوحدة اللغوية . أي الدليل . بغيرها من الوحدات الأخرى .

ولا يمكن إدراكه إلا في مستوى النظام ، ولا يتصور خارجه ،فكلمة " عم "مثلا تدل في العربية على " أخ الأب " وتحدد قيمتها ببقية الكلمات الدالة على القرابة الدموية وبالخصوص بعلاقتها بكلمة " خال " أي " أخ الأم " ولئن كانت كلمة (oncle) في الفرنسية تدل على معنى " عم " ،فليس لهما نفس القيمة لانعدام كلمة خاصة تعبر عن معنى " خال " في الفرنسية أي لكونها من نظامين مختلفين .[2]

فكل وحدة لغوية تحدد قيمتها من خلال علاقتها ببقية الوحدات ،فكل كلمة لها قيمتها الخاصة بها التي تختلف عن غيرها من الكلمات .

([1]) أحمد محمد ،اللسانيات النشأة والتطور، 129 .

([2]) محمد الشاوش ،أهم المدارس اللسانية ،ص21 .

إذن قيمة الكلمة ليست ثابتة مادام يمكن تبديلها بتصور معين أي بدلالة أو بأخرى ،ولايتحدد مضمون الكلمة تماما إلا بتواجد كينونات أخرى خارجة عنها .

ولكونها جزءا من النظام فإنها لا تتمتع بدلالة فحسب ،بل بقيمة خاصة أيضا ،والملاحظ أن ثمة تمييز بين تسمية التصور والقيمة التي يتمتع بها هذا الإسم (أو تلك الدلالة) في اللغة ،حيث تربط التسمية تصورا واحدا بصورة سمعية فريدة ،وتتحدد قيمة التسمية بعلاقتها ضمن كافة مفردات اللغة [1].

وهذا يعني أن القيمة قابلة للتغير مادامت الكلمة يمكن تكتسب معاني جديدة بإضافة إلى معناه الأصلي .

ولقد ضرب " دي سوسير " أمثلة لتوضيح مفهوم القيمة ومعناه أن كلمة (moutton) (خروف) في الفرنسية الحديثة تقابلها من حيث دلالة الكلمة الإنجليزية(sheep) ولكن ليس لها القيمة نفسها نظرا الأسباب عديدة خاصة لأن الإنجليزية تستعمل كلمة(moutton) وليس عند الحديث عن قطعة لحم مهيأة للأكل على المائدة .[2]

فهذه الكلمات ليس لها معنى ذاته لكلمة الإنجليزية فكلمة تعني قطعة اللحم المعدّة للأكل ،وليس الخروف ومن ثم فإن الفارق في القيمة بين (sheep) و(moutton) يرجع إلى أن للأولى عنصرا ثانيا إلى جواهره، والحال ليست كذلك مع الكلمة الفرنسية .

([1]) أحمد مومن اللسانيات ،النشأة والتطور ،ص129 .

([2]) المرجع نفسه ،ص130 .

فالتصور السوسيري يوضح فكرة القيمة وعلاقتها بالدلالة ،فالقيمة مكون للدلالة وهي أحد عناصرها والعلاقة بينهما تصل إلى درجة التطابق ،فإذا كانت الدلالة أعم من القيمة، فإن القيمة تكَونُ علاقات داخل النظام .

وهذا يعني أن الدلالة عنصر خارج النظام ،حيث يقوم بتعويض القيمة اللغوية ،ومن ثم تبدو القيمة أعم من الدلالة .

فالقيمة تعمل على نقل الدلالة من خارج اللغة لى داخلها ،أي نقلها من مستولى التجريد إلى مستوى الإنجاز وتكون الدلالة أعم إذا انفتح المجال الخارجي أمام احتمالات المعنى .

3. العلاقة التركيبية والترابطية :

إن اللغة تحكمها مجموعة من العلاقات التي تسيرها وتنظمها وهذه العلاقة بين الأطراف اللسانية تجري في دائرتين متميزتين كل واحدة منها تولد نظاما معينا من القيم ،والتعارض بين هذين النظامين يجعلنا نفهم بشكل أفضل طبيعة كل واحد منها .

ولقد ميز " دي سوسير" بين نوعين من هذه العلاقات القائمة بين العناصر اللغوية وهي :

أ . العلاقة التركيبية :

يتمثل هذا النوع في العلاقة الأفقية بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة .[1]

فكل منها يضاهي معنى إضافيا على الكل ،وتعد كل وحدة في حالة تقابلية مع الوحدات اللغوية الأخرى ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تعقبها و تسمى هذه الأنساق الخطية تراكيب مثلا : في جملة صار الطقس باردا .

توجد ثلاثة علاقات تركيبية من ثلاثة وحدات هي : صار+ الطقس +بارد ا .[2]

فهذه الوحدات اللغوية تحقق قيمتها من خلال أركانها المتعاقبة وبعلاقتها الترتيبية بين العناصر اللغوية .

([1]) أحمد مومن اللسانيات ،النشأة والتطور ،ص130 .

([2]) السعيد شنوفة ،مدخل إلى المدارس اللسانية ،دط .الجزائر :دت ،ص56 .

ففي الخطاب تقيم فيها بينها بفضل تسلسلها ،وترتب العناصر اللغوية الواحد تلو الآخر على مستوى السلسلة الكلامية ،ويمكن أن نطلق على هذه التاليفات التي تعتمد على الإمتداد كدعامة " المركبات " ويتكون المركب ،دائما من وحدتين متعاقبتين أو أكثر .

بمعنى أن الطبيعة التلاحقية الخطية تساهم في ترتيب العناصر اللغوية التي تؤثر بدورها على عملها ،ذلك لأن العلاقات القائمة بين العناصر تكاد تكون كلها علاقات موقعية .

وما يمكن ملاحظته أن " دي سوسير" أضاف نوعا من الاتساع على مفهوم التركيب، وبخلاف سابقيه في تاريخ اللسانيات ،يبدأ التركيب بتآلف عنصرين ،إذا اقتضى الحال، ضمن الكلمة نفسها ،ويتسع إلى حدود غير المعنية .[1]

وهذا يعني أن الوحدات الكلامية تحقق قيمتها داخل التركيب من خلال تآلف الوحدات فيما بينها فالتركيب إذن يتكون من وحدتين متتاليتين فأكثر ،ويكون متوقفا على انتقاء المتكلم وخياراته مضافا إليها متطلبات الموقف التي تدفع المتكلم إلى التدقيق في الخيارات لتحقيق الهدف الإبلاغي .

(1) ميشال أرّيفيه ،البحث عن فرديناند دي سوسير ،ترجمة محمد خير محمود البقاعي ،ط1 .بيروت :2009، دار الكتاب الجديد المتحدة .

ب . العلاقة الترابطية :Relation paradigmatique

يطلق المصطلح على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن تحل محل عضها البعض في سياق واحد .[1]

فالعلاقات الترابطية تقوم على الترادف والإعراب والمطابقة وكثير من أحكام النحو التي تحكم التركيب في خطيته .

كما أن هذه العلاقات تنشأ " خارج الخطاب " بين الكلمات التي تقوم بينها شيىء ما مشترك.

هذه الكلمات تترابط في الذاكرة وتشكل بذلك مجموعات تسرد في داخلها علاقات متنوعة .[2] بمعنى أن الوحدات اللغوية التي تظهر في سلسلة كلامية معينة وتكون مشتركة لوحدات لغوية أخرى مغايرة لها ،فإنها تنتج تراكيب جديدة .

([1]) أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ،ص131 .

([2]) ميشال أريفيه ،البحث عن فرديناند دي سوسير ،ترجمة محمد خير محمود البقاعي ،120 .

و الاستدلال عبارة عن مجموعة من الألفاظ التي يمكن لمستعمل اللغة أن يأتي بها في كل نقطة سلسلة الكلام [1].

فكل لفظة يمكن أن نستبدلها بلفظة أخرى مغايرة ،وهذا الأمر متعلق بما يسمى محور الاختيار مثل :

- قرأت قصة جميلة .
- اشتريت زهرة .

والعلاقة الاستبدالية تزدوج بالعلاقات الركنية وهي تتعلق بتركيب الوحدات اللسانية التي اختارها المتكلم وبوصفها حسب نظام معين ،وذلك من مشمولات محور التوزيع .

والعلاقات التي تربط الوحدات الغوية نوعان : العلاقات الجد ولية أو الاستبدالية والعلاقات السياقية أوالترابطية.

(1) نور الهدى لوشن ،مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ،دط ،الشارقة :2008 ،المكتب الجامعي الحديث ،ص312 .

فالاستبدلال يتمثل في مجموعة الألفاظ التي يمكن لمستعمل اللغة أن يأتي بلفظ منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام . والاستبدال باب من أبواب التكافؤ من حيث أنه يجمع كل العناصر التي يمكن أن يستبدل بعضها بعض في سياق معين .[1]

بمعنى أن كل كلمة من الكلمات المختارة في علاقة استبدالية مع غيرها من الكلمات المستبعدة ،متوقف على انتقاء المتكلم وخياراته ،مضافا إليها متطلبات الموقف التي تدفعه االمتكلم إلى التدقيق في الخيارات لتحقيق الهدف الابلاغي .

أما العلاقات السياقية ،فهي تحدد الوحدات المتواجدة داخل ملفوظ معين واحد ،وهي تتعلق إذن بتركيب الوحدات اللسانية التي أختارها المتكلم .[2]

وهذا يعني أن المتكلم تظهر قيمتها التبليغية داخل السياق الذي يحدده التركيب .

وقد أعطى دي سوسير مثلا حول العلاقة الاستبدالية وهو كلمة علّم (enseigner)، وتعليم (enseignement)،وتنتج عن هذه العلاقة نماذج مختلفة من الترابط المعنوي هي كما يلي :

([1]) المرجع السابق ،312 .
([2]) المرجع نفسه ،313 .

1) النموذج الأول : وتكون الكلمات مترابطة فيه ذات جذ واحد نحو تعليم ،تعلم ،معلم، وعالم .

2) النموذج الثاني : تشترك الكلمات في اللواحق نحو :

.(Enseignememt), (armement), (changememt)

3) النموذج الثالث: يقوم على التشابه بين المدلولات نحو :تعليم (Enseignement) وتثقيف (instruction) واكتساب (apprentissage) وتربية (Education) .[1]

لقد جمعت الكلمة المركزية (enseignement) بين نوعين من الاشتقاق ،الأول يعتمد على الكلمة الجذر التي تساعد على توليد عدد كبير من الكلمات ،والنوع الثاني، يعتمد على إضافة اللاحقة (ment) أو غيرها .

فدي سوسير بين أن العلاقات الترابطية تحكمها علاقات ائتلافية بين وحدات لغوية داخل التركيب .

([1]) ينظر : أحمد مومن ،اللسانيات النشأة واالتطور ،ص132 .

الفصل الثالث

أثر الاتجاه البنيوي

(السوسوري) على

الفكرين الغربي والعربي

الفصل الثالث : أثر الاتجاه البنيوي (السوسوري) على الفكرين الغربي والعربي .

المبحث الأول : عند الغرب .

1 . بلومفيلد .

2 . تشومسكي .

المبحث الثاني : عند العرب .

1 . عبد السلام المسدي .

2 . ميشال زكريا .

الفصل الثاني : أثر الاتجاه السوسيري على الفكرين الغربي والعربي .

المبحث الأول :عند الغرب .

شهدت الدراسات اللغوية تحولا كبيرا بعد مجيئ العالم السويسري " دي سوسير " وإصدار المحاضرات التي ألقاها على طلّابه في الكتاب الذي ترجمه بعضهم إلى " محاضرات في علم اللغة العام " إذ حمل في طياته ثورة في علم اللغة ومناهج الدرس اللغوي ،أسقطت الكثير من المبادئ والنظريات التي كانت متكا للدرس اللغوي القديم.

لتحل محلّ هذه المبادئ ،مبادئ ورؤى جديدة مستمدة من الواقع الذي أحدثته الثورة العلمية، وهدفت إلى علمنة اللغة، ما أسهم سهاما بارزا في تطوير اللغة وتطويعها للدخول في مرحلة العلمية ،وتبلورت تلك المبادئ والرؤى في الدرس البنيوي أو الوصفي كما يسميه البعض .

ومنها استمدّ اثنان من كبار علماء اللسانيات في القرن العشريين مبادئهم ونظرياتهم اللغوية وهما : " بلومفيلد " و" تشومسكي ".

1. بلومفيلد :L . bloomfield

يعتبر اللغوي الأمريكي الشهير بلومفيلد رائد البحث اللغوي الأمريكي ،على الرغم من الأسهامات الواضحة لعلماء آخرين ،إلا أن بلومفيلد يبقى هو الصرح الكبير للدراسات اللغوية في أمريكا ،حيث يعد كتابه :اللغة هو المرجع الأساس ،بل إنهم يعدونه بالكتاب المقدس في علم اللغة .

وتأتي أهمية آراء بلومفيلد في دراسة المعنى ،إلى ما شاع بين تلامذته من رفضه للمعنى ،ونظرته إلى هذه الدراسة، على أنها تنتمي إلى مجالات أخرى ،غير اللغة ،كمجالات المنطق والفلسفة وعلم النفس ،وأن الدراسات الحقيقية للغة هي تلك الدراسات المادية المحسوسة ،في إطار المنهج السلوكي . [1]

فتصريحات بلومفيلد وآراؤه تؤكد بأنه أهمل المعنى وفي بعض الأحيان يظهر بأنه ينقده بالرغم من أنه ينتمي إلى مجالات أخرى غير اللغة كالمنطق والفلسفة وعلم النفس.

فقد كان يرى أن دراسة المعنى أضعف نقطة في الدراسات اللغوية ،وأن من الأحسن أن نحدد مجال علم اللغة بالمادة التي يمكن ملاحظتها وتجربتها وقياسها .[2]

نرى أن بلومفيلد يدعو إلى أن تعتمد الدراسات اللغوية على مناهج العلوم الطبيعية، وقد أراد أن يدرس المعنى من وجهة نظر سلوكية وعلمية .

إن البحث في ماهية الدلالة أدى بالعالم اللغوي بلومفيلد إلى هجر الاتجاه العقلي والبحث عن الدلالة في السلوك اللغوي الظاهر ،وبعد تحقق الأفكار التي مال إليها(بلومفيلد) تجلى الاتجاه السلوكي لدى هذا العالِم .

([1]) حسام البهنساوي ،علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة ،ط1 .القاهرة :2009، مكتبة زهراء الشرق ،ص31 .
([2]) أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ،ص24 .

وقد عرّف معنى الصيغة اللغوية بأنه الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه ،والاستجابة التي يستدعيها من السامع ،فعن طريق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة ،هما المعنى اللغوي للصيغة .[1]

فالتصور السلوكي للغة عند بلومفيد يظهر من خلال ما يعرف بالمثير والإستجابة ،فهو يدرس التصرف الإنساني كمجموعة من المثيرات والإستجابات ،فالمثير حدث واقعي يمكن أن يتوسط من خلال الخطاب فيعوض حركة شفوية " الكلام " أي الاستجابة التي نتجت عن الموجات الصوتية التي انتجها المتكلم عبرالهواء .

يرى بلومفيلد أن اللغة هي قمة العمليات البيواجتماعية ،بل هي المسؤولة عن تنظيم المجتمع الإنساني كله .[2]

ويحدد موضوع علم اللغة عنده ويأتي بمثاله المشهور في تاريخ الفكر اللغوي الحديث عن " جاك " و" جيل " والتفاحة .

حيث كان جاك وجيل سائرين في الطريق رأت جيل تفاحة على شجرة . وبما أنها كانت جائعة سألت جاك أن يحضرها لها ‘فتسلق جاك الشجرة وأعطاها التفاحة . فأكلت جيل التفاحة .

([1]) منقور عبد الجليل، علم الدلالة ومباحثه في التراث العربي ،ص105 .

([2]) حلمى خليل ،مقدمة لدراسة علم اللغة، دط .الإسكندرية :2000 ،دار المعرفة الجامعية ،ص100 .

في هذا المثال جوع جيل ورؤيتها التفاحة يشكلان المثير (م) وبدلا من الاستجابة المباشرة(س) بدلا من تسلق الشجرة، والحصول على التفاحة بنفسها، عملت استجابة بديلة (س) في شكل منطوق معين وهذا المنطوق قام بدور المثيرالبديل(م) لجاك مسببا له إستجابة (س) تساؤل ما كان سيفعله لو شعر هو نفسه بالجوع ورأى التفاحة.[1]

فتحاليل معنى الحدث الكلامي: يقوم بلومفيد بتحويل الصيغة السلوكية لتمثل المؤثر والإستجابة:

م _س حيث م =مؤثر و س= استجابة لتوافق الكلامي حيث(م)= المؤثر البيئي،(س) = استجابة لغوية (م) =مؤثر لغوي ،و يحاول ان يقدم هذا المنظور السلوكي في شكل علمي، فيقوم :المؤثر هو التفاح ويمكن و يمكن وصفه علميا إعتمادا على معطيات علم النبات، و كذلك يمكن وصف سلوك التسلق و قطف التفاحة.

([1])احمد عمر مختار،علم الدلالة،ص 62.

ويرى بلومفيد أن هذه الأحداث المتتابعة تصلح أن تكون موضوعا لدراسة من جوانب مختلفة ،ولكن الذي يدرس اللغة يستطيع أن يميز الحدث الكلامي Actofspeech عن سواه من الواقع الذي يسميها الاحداث العلمية Practieal Events ، ومعنى هذا أننا إذا نظرنا إلى هذه القصة من جهة النظر اللغوي،وجدناها تتكون من ثلاث مراحل طبقا لزمن وقوع أحداثها و هذه المراحل هي:

1_ أحداث علمية سابقة على الحدث الكلامي.

2_ الحدث الكلامي.

3_ أحداث علمية لاحقة للحدث الكلامي.[1]

فلأحداث العلمية تتصل بالفتاة " جيل " التي كانت جائعة فمعنى كلمة جوع عند " بلومفيلد " يفهم من أحداث فزيولوجية مثل تقلص عضلات البطن وسيلان اللعاب وغير ذلك من الحالات التي تصاحب الشعور بالجوع وبعدها رؤية " جيل " التفاحة ومن ثم تكملت مع "جاك " الذي لابد أن تجمع بينها علاقة سابقة سواء أكان اخوها ، زوجها أو صديقها فهذه العلاقة تؤثر في الحدث الكلامي وهذه الأحداث سبقت كلام " جيل " وهو ما يسميه بلومفيلد مثير المتكلم .

([1])حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة،ص100 .

أما الكلام هو أساس اهتمام عالم اللغة ، فهو نتيجة ظواهر فسيولوجية وفيزيائية ومن ثم لابد من الإستعانة بالعلوم الطبيعية أما الأحداث العملية و التي تلي كلام " جيل "،فهي تتصل بالسامع " جاك" وإحضاره التفاحة و إعطاءها " لجيل " وهذه الاحداث يطلق عليها " بلومفيلد " استجابة السامع.[1]

وفي هذه القصة مجموعة من الجوانب التي تثير اهتمام الدارسين إذ يهتم الباحث اللغوي هنا بالحدث الكلامي، والتصرف السلوكي الذي ترتب عليه،لأن اللغة في نظره سلسلة من الاستجابات الكلامية لحوافز ليست ميدان الباحث اللغوي،فهو لا يهتم بالعمليات النفسية (الحافز الداخلي) السابقة على عملية الكلام،وإصدار الإشارات الصوتية بل بدراسة التصرف الكلامي ،فيصف ما فيه من فونيمات ومورفيمات توزع في إطار جملي.

وتجدر الإشارة إلى أن بلومفيلد لم يرفض دراسة المعنى،بل لقد أشار إلى أهمية العلاقة بين الصوت و المعنى،و كان اهتمامه موجها إلى الكشف عن القوانين العامة التي تحكم السلوك البشري،ومن ثم كان مقتنعا بأن إقتحام الجانب الدلالي أو المعنى قد يعوق لى الوصول إلى هذه القوانين .

([1])ينظر المرجع السابق،ص 101

ولذلك رأى أنه لكي نعرف المعنى معرفة دقيقة ،لابد أن نكون على علم دقيق بكل شيئ في عالم المتكلم ،وأن المعنى يحلل المعنى على ضوء العلوم والمعارف الفسيولجية والطبيعية ،والمعرفة الإنسانية لم تصل بعد إلى هذه الدرجة .[1]

فبلومفيلد اعتمد على علمي وظائف الأعضاء ،والفزياء والعلوم الطبيعية في تحليل الحدث الكلامي .

ولا يقلل من قيمة ،المعنى في الدراسة اللغوية ،بل على العكس من ذلك ،قدم منهجا أو نظرية لدراسة المعنى في النظرية السلوكية، وقد صرح بلومفيلد في رسالة أرسلها لأحد أصدقائه قبل وفاته يقول فيها : من المؤلم أن يكون الشائع أنني أو أن مجموعة من اللغويين أنا بينهم . لم أعطي اهتماما للمعنى أو أنني أهمله ،أو أقوم بدراسة اللغة دون المعنى، ببساطة كأن اللغة أصوات عديمة المعنى ،إنه أمر ليس شخصيا فقط هو الذي أشرت إليه، وإنما هو الحكم ،لو سمح بتطبقيه ،فسوف يعوق تقدم علمنا ، بوضع تضاد متوهم بين الدارسين ،الذين يهتمون بالمعاني ،والآخرين الذين يتجاهلونه أو يهملونه، الفريق الأخير ،كما أعلم غير موجود .[2]

فبلومفيلد لم يهمل المعاني بل صرح بأن استخدامات تقليدية للمعاني كأساس التحليل والتعريف والتصنيف لم تصل إلى النتائج المقنعة التي يمكن إثباتها ،ولذا وجب أن تهجر كالنظرية الشارية والتصورية وغيرها .

([1]) المرجع السابق ،ص152 .

([2]) حسام البهنساوي ،علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة ،ص34 .

2. تشومسكي :

لا شك أن النظرية التوليدية التحويلية التي تبناها (نوام تشومسكي) قد أخذت دفعا قويا من النتائج التي توصلت إليها النظرية السوسيرية وبخاصة فيما يتعلق بأبعاد المنهج البنيوي وأصوله ثم إنها استفادت من النظريات التي سبقتها نحو النظرية السلوكية " بلومفيلد " (Bloomfiel) سنة 1939 م .

فلقد انهارت النظرية السلوكية على يد" تشومسكي " الذي عاد بالبحث الدلالي غلى الطابع العقلاني الذهني ،إلا أن نظريته استطاعت أن تقدم تفسيرات علمية لظواهر لغوية تخص الدلالة ،وتستند هذه النظرية على آلية توليد جمل صحيحة .[1]

فمن خلال هذه النظرية استطاع " تشومسكي" أن يعيد النظر في العلاقات الدلالية .

وهذا التغيير في اللسانيات قد حدث في عام 1957 م ،عندما أصدر" تشومسكي " مؤلفه الشهير « البنى التركيبي » (Syntactic Structures) معلنا بذلك عن منهج جديد لدراسة اللغة، أطلق عليه اسم القواعد التوليدية التحويلية وقد أحدث هذا التيار العقلاني ثورة في عالم السانيات .[2]

فلقد كان هذا التاريخ (1957) نقطة انطلاق وتحول في لسانيات القرن العشرين بداية من رفض" تشومسكي " للمدرسة السلوكية البلومفيلدية في استخدام اللغة إلى تأسيس النظرية التوليدية التحويلية .

([1]) منقور عبد الجليل ،علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ،ص95 .
([2]) أحمد مومن ،اللسانات النشأة والتطور ،ص202 .

إن النحو التوليدي لم يعد محاكيا للنحو التقليدي المدرسي في المفهوم والأهداف ،لأنه لا يرمي إلى تحديد المعايير التي تمكن المتكلم من استعمال لغته الأم استعمالا سليما دون أخطاء ،بل إن النحو عنده هو مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلم ،الراسخة فيه والمكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ طفولته ،والتي تمكّنه فيما بعد من اكتساب لغات أخرى كما تمكنه من إنتاج جمل جديدة لم يسمعها بعد . ومن هنا يصبح نحو تشومسكي توليديا .[1]

وبهذا يؤكد على دور العقل في اكتساب اللغة ،فهذه الأخيرة تترسخ في ذهن الإنسان منذ طفولته ثم تتطور عنده شيئا فشيئا ،مما يجعله يكتسب عدد (لا متناهي) من الجمل وهذا ما يعرف بالتوليد .

([1]) شفيقة العلوي ،محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،ص40 .

* أفرام نوعم تشومسكيAvram Noam chomsky لساني أمريكي من عائلة روسية إسرائيلية متطرفة في أفكارها السياسية ،ولد في مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية في 7يسمبر 1928 م ، درس الفلسفة واللسانيات والرياضيات، وحصل على المجيستار في علم الفونيمات الصرفي للعبرية الحديثة في عام 1955م .
وبما أن تشومسكي تتلمذ على يد هاريس الذي يعد قطبا من أقطاب المدرسة الوصفية فهو في الحقيقة نتاج وسط بلومفيلدي ،ولكنه خالف كما خالف أستاذه في الأخير ومن جهة أخرى تأثر كثيرا بفكر ياكبسون (Jackobson) الذي كان ينادي بوجود كليات فونولوجية (Phonological universals) في جميع اللغات .
ويعتقد أيضا أن هناك كليات أو عموميات لغوية على مستويات أخرى من التركيب اللغوي ،ومن هاتين الفكرتين انطلق تشومسكي من تجسيد منهجه الجديد معتبرا موقع التركيب في اللغة بمثابة القلب في جسم الإنسان .
ينظر :أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ،ص 202 .

إن النحو عند تشومسكي ليس المعرفة اللاواعية بقواعد اللغة فحسب بل إنه القدرة على اكتشاف هذه القواعد ،ووصف اللغة بواسطته .

وعليه فإن النحو التوليدي ،هو نظام من القواعد التي تقدم وصفا تركيبيا للجمل بطريقة واضحة ،وأكثر تحديدا ،وهذا المراد بالنحو التوليد.

فالنحو التوليدي لأية لغة ،هو تلك المعرفة اللاواعية بنظامها التركيبي الدلالي والفنولوجي ،والذي يسمح للمتكلم بإنتاج عدد لا متناه من الجمل الصحيحة نحويا ودلاليا .[1]

فنظرية " تشومسكي " تستند على آلية توليد جمل صحيحة اعتمادا على كفاية المتكلم اللغوي ويعني ذلك توفر قواعد تنظيمية ذهنية في عقل متكلم اللغة تتيح له ما شاء من الجمل ،وقد انطلق للتدليل على وجود هذه الكفاية من تعلم اللغة عند الطفل .

والقضية التي يطرحها " تشومسكي " في هذا الخصوص هي ما أطلق عليه " معضلة أفلاطون " أو السؤال المحير الذي طرحه أفلاطون أصلا ،وهو كيف نفسر عدم التناسب بين المعرفة الواسعة عند البشر .

([1]) شفيقة العلوي ،محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،ص41 .

إذ يقول مقتبسا من الفيلسوف البريطاني " برتراند رسل " كيف يتسنى للبشر التي تتسم صلاتهم بالعالم بأنها وجيزة وشخصية محدودة ،أن يعرفوا كل هذا المقدار من المعرفة ؟ .[1]

وما لاحظه " تشومسكي " أن متكلمي لغة من اللغات يمكنهم إنتاج عدد غير محدود من الأقوال وفهمها ،وأنهم يواجهون كل ساعة بالأقوال التي لم يسبق لهم مواجهتها ،ورغم ذلك يفهمونها .

وبقدر ماننجح في اكتشاف القواعد التي يعتمد عليها المتكلمون في صوغ التراكيب فإننا نتمكن من تقديم تفسير مرض علميا لخصيصة الانتاجية في اللغة .[2]

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن المتكلم يقوم بإختيار مجموعة من القوانين التي يمكننا من خلال معرفتها ومعرفة الشروط التي تقابلها ،كما أن الطفل الذي يتعلم اللغة يصنع لنفسه نحوا من خلال ملاحظته للأقوال التي تدور من حوله .

([1]) مرتضى جواد باقر ،مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ،ط1 .عمان :2002 ، دار الشروق للنشر والتوزيع، ص32 .
([2]) محمد محمد يونس علي ،مدخل إلى اللسانيات ،ص84 .

من أهم المفاهيم التي جاءت به نظرية " تشومسكي " ما يعرف بقواعد التوليد والتحويل . وهذه القواعد لم تأت دفعة واحدة ،بل مرت بثلاثة مراحل رئيسية ،المرحلة الأولى جسدها " تشومسكي " في كتابه الثوري (البنى التركيبية) الصادر عام 1957 م ،وأطلق على هذه النظرية فيما بعد اسم النظرية الكلاسيكية ،والمرحلة الثانية ظهرت إلى حيز الوجود مع ظهوركتابه (مظاهر النظرية التركيبية) في عام 1965 م وتعرف هذه النظرية بالنظرية النموذجية .

أما المرحلة الثالثة فتبلورت بعد نشر" تشومسكي" ثلاث مقالات مختلفة حول مكانة الدلالة والبنية العميقة في نظريته ،والتي جمعها فيما بعد في كتاب واحد بعنوان (دراسة الدلالة في القواعد التوليدية) وذلك سنة 1972 م ويعرف بالنظرية النموذجية الموسعة .[1]

وهذه المراحل تبين الأهداف التي توصلت إليها النظرية التوليدية التحويلية بزعامة "تشومسكي" .

([1]) أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ،ص 205 .

و يعتبر التوليد من أهم المفاهيم التي جاء بها النحو التوليدي التحويلي ويقصد به القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل ،انطلاقا من العدد المحصور من القواعد ،في كل لغة ،وتمييزها عما هو ير سليم نحويا .[1]

بمعنى أن كل فرد له القدرة على تكوين عدد لا متناه من الجمل في لغته حتى وإن كانت جملا لم يسمعها من قبل وذلك من خلال تطبيق قواعد نحوية معنية .

أما التحويل : فيحتل المكانة الرئيسية في القواعد التشومسكية ،وتكمن مهمتها في تحويل البنى العميقة إلى ببنى متوسطة وسطحية، وبعبارة أخرى ،فإنها تربط البنى العميقة بالبنى السطحية .[2]

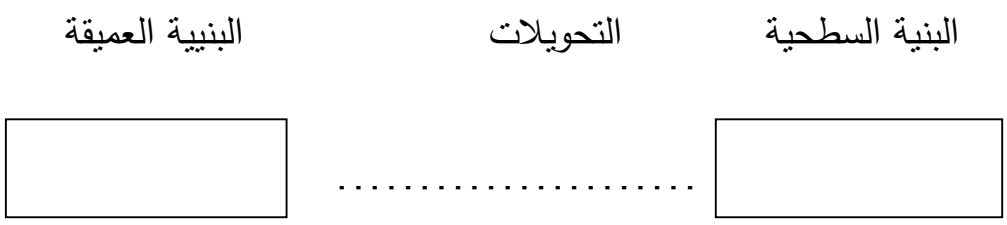

الشكل المستعمل في التواصل

([1]) شفيقة العلوي ،محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،ص 41 .
([2]) أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ،ص 207 .

إن أول من استعمل مصطلحي البنية السطحية (Surface Structure) والبنية العميقة (deep structure) هو " تشارلز هوكيت " في كتابه " محاضرات في اللسانيات الحديثة " لكن لم يظهر جليا إلى في " مظاهر النظرية التركيبية " سنة 1965 م ،ومخاص القول أ، لكل جملة بنيتين : بنية عميقة وبنية سطحية .

أما العميقة فهي شكل تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية ويمثل التفسير الدلالي ،أما السطحية فتمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التتواصل أي شكلها الفزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز .[1]

إن الهدف الأسمى الذي رسمته النظرية التوليدية هو معرفة الطاقة الكامنة في اللغة على مستوى التعبير ،ولذلك تأثر بآراء المدرسة الفلسفية العقلانية التي سادت القرن السابع عشر ،اتخذ (تشومسكي) منهجا عميقا لا يعتمد على الوصف ،وإنما التحليل والتفسير للوصول إلى وضع معايير تحدد قدرة اللغة على الخلق والإبداع والابتكار بإعادة بناء نسق المعاني عن طريق قواعد التوليد والتحويل ، ولذلك تعتبر النظرية التوليدية من أحدث النظريات التي قدمت تفسيرا علميا موضوعيا لنظام اللغة ووضعت قواعد مرنة تصلح لأي لغة ،لأنها قواعد تتسم بالشمولية والعالمية .

([1]) ينظر : أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ،ص212 .

ويعد " تشومسكي " مؤسس النظرية التوليدية التحويلية من أشهر اللسانيين في الدراسات اللغوية ،وقد كان لدراسته الأثر البالغ على دارسي اللغة خصوصا المدرسة الأمريكية .

المبحث الثاني : عند العرب .

1 . عبد السلام المسدي : (26 يناير 1945)

يعتبر " المسدي " من أهم الباحثين في مجال اللسانيات واللغة ،ويعد واحدا من النقاد القلائل الذبن ترسخت أسماؤهم في حركة النقد الأدبي ،ليس في تونس فقط ،بل في العالم العربي ،فعلى مدار مسيرته الطويلة قدم عطاءً وافرًا أسهم في ثراء الحركة النقدية العربية .

والمسدي كغيره من الكثير من اللغويين ،تأثر باللسانيات السوسيرية ،ويظهر هذا التأثَر في كتابه اللسانيات وأسسها المعرفية الذي تحدث فيه عن بعض القضايا التي تحدث عنها " دي سوسير "منها الأنساق الدلالية ،مراتب الظاهرة اللغوية كما تحدث عن الزمانية والآنية .

وذهب إلى ما أقر به " دي سوسير "وهو أن منهج اللسانيات وصفي استدلالي في الآن ذاته .

كما يرى" المسدي " أن أخطر ما يعيق ازدهار الوعي اللساني في أوساطنا العلمية معركة الوصفية والمعيارية في المعرفة اللغوية .[1]

فهو ينفي هذا الخلط الموجود بين الوصفية والمعيارية ،وينبذ كل موقف معياري من اللغة. الذي يستند إلى تصنيفات الخطأ والصواب وإلى مقولة الحسن والقبيح ،ويعتبر هذا من سلبيات المنهج المعياري .

([1]) ينظر: عبد السلام المسدي ،اللسانيات وأسسها المعرفية ،دط ،تونس :1986 ،الدار التونسية للنشر ،ص 14 .

اتبع " المسدي " مسار" دي سوسير" في القضية المتعلقة بالعلامة اللغوية الذي جعل اللغة جزءا من هذا العلامات الدالة .

فالعلامة عند " دي سوسير" تقترن بالدال والمدلول وأبنيتها المختلفة وكيفية استخدامها في الرسائل بجميع أنواعها ،ولهذا تعد الحلقة المركزية التي تحيط بعلم اللسان .[1]

فالدراسة الدلالية تنطلق من العلاقة اللسانية بدالها ومدلولها في علاقتهما بمرجع العلامة .

كما كانت سمة الاعتباطية من القضايا التي تطرق أليها " المسدي "،حيث يقول: مادامت سمة الاعتباط شاملة للحدث اللساني ،فإنها تتركز جوهريا في مشكل الدلالة قبل كل شيئ ،وبذلك تنحلَ الاعتباطية اللسانية العامة إلى اعتباطية الاقتران الحاصل بين دوال اللغة ومدلولاتها ،أو مايمكن حصره في اعتباط العلامة اللسانية .[2]

وهذا يعني أن الدلالة تقوم على إشكالية هي اعتباطية العلامة اللغوية كما سماها " دي سوسير "وهي العلاقة القائمة بين الدال والمدلولات أي بين الألفاظ ومعانيها .

([1]) المرجع نفسه ،ص 68 .

([2]) عبد السلام المسدي ،التفكير اللساني في الحضارة العربية ،ط1 .تونس ،1986 ،الدار العربية للكتاب ،ص108 .

ومن الأفكار التي أشار إليها " المسدي " أيضا ثنائية الآنية والزمانية التي جاء بها " دي سوسير " ،والتي هي في نظره واسعة العقد في كامل تفكيره حيث يجزم بأن حقيقة اللغة كامنة في ذاتها أكثر مما هي كامنة في تاريخها ،ويعدُّ إعلانا عن قطعية معرفية سوف يتجاوز أثرها حدود العلوم اللغوية إلى مجال العلوم الإنسانية الأخرى . [1]

وهكذا تأسست مقولة الآنية في شبكة معقدة من القربات المعرفية وهذا أزاحت مقولة الزمانية لتنفرد إلى حدَ بعيد بسلطة أصولية على مستوى مناهج البحث والفلسفة والعلوم ،كما يتضح لنا أن الإلمام بخبايا الشبكة المعرفية في نشأة الفكر اللساني المعاصر .

ويقر" المسدي " بفضل اللسانيات المعاصرة في بلوغ اللسانيات العربية لما وصلت إليه اليوم.

([1]) عبد السلام المسدي ،اللسانيات وأسسها المعرفية ،ص 120 .

2 . ميشال زكريا :

إن حظ العربية في الدراسات اللسانية بصفة عامة والدلالية بصفة خاصة له شأن كبير في إثراء الدرس اللغوي العربي قديما وحديثا خاصة في الدراسات الدلالية .

ومنذ العصر الإسلامي كان هناك اهتمام بهذا النوع من الدراسات وذلك من أجل فهم وتفسير القرآن الكريم ،وفيما بعد تطورت هذه البحوث الدلالية تطورا سريعا منذ عهد " بريال " و"دي سوسير" .

يقول ميشال زكريا : ما يشجعنا في نهجنا هذا ،هو أن اللغويين الأوائل أمثال الخليل وسبويه وابن جني ،على سبيل المثال ،قد حللوا اللغة من منطلقات علمية بالإمكان اعتبارها متطورة جدا بالنسبة لعصرهم .[1]

وهذا مايبين أن المفاهيم الألسنية ليست جديدة على الدراسات اللغوية العربية ،وهدف " ميشال زكريا " من هدف الأبحاث إنما كانت من أجل إعادة النظر في طرائق التحليل اللغوي العربي ،على التطور العلمي الحاصل في مجال الألسنية الحديثة وتأثر باللسانيين الغربيين أمثال : " دي سوسير" و " تشومسكي " .

([1]) ينظر : ميشال زكريا ،الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية ،ط1 .بيروت :1976 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ص 5 .

ويمكن القول إن " ميشال زكريا " قد اتبع نهج تشومسكي في دراسة اللغة وطبق القواعد التوليدية التحويلية التي عرفت واشتهرت عنده في كتابه " البنى التركيبية " .

يقول" ميشال زكريا " إنه قبل الخوض في دراسة قواعد اللغة العربية لا بد من أن نعرض الخطوط الأساسية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية ،ومن القضايا التي طرحها ما يعرف بالكفاية اللغوية والأداء الكلامي .[1]

وهذه الفكرة قد تطرق إليها " تشومسكي" في النظرية التوليدية التحويلية . والكفاية اللغوية هي ملكة ذاتية خاصة بمتكلم اللغة .

يرى " ميشال زكريا " أن تنظيم القواعد الذي يقرن الأصوات اللغوية بالدلالات الفكرية والكامن ضمن الكفاية اللغوية ،هو ما ندعوه بالقواعد التوليدية التحويلية .[2]

فالتوليد عنده هو كل ما يعتمد على إنتاج الجمل التي بالإمكان استعمالها في اللغة أو تعدادها .

وتعتبر القواعد التوليدية جزءا من جهاز توليد الجمل .وينحصر مفهوم التوليد بعملية ضبط كل الجمل التي يحتمل وجودها في اللغة .

([1]) المرجع السابق ،ص 7 .

([2]) ينظر : المرجع نفسه ،ص 14 .

أما التحويل فيقوم الملاحظة وينص على إمكانية تحويل جملة معينة إلى جملة أخرى واعتماد مستوى أعمق من المستوى الظاهر في الكلام وبإمكان مفهوم التحويل أن يكشف على المعاني الضمنية العائدة للجمل .[1]

هذا يبين أن " ميشال زكريا " قدم قواعد اللغة العربية انطلاقا من النظرية التوليدية التحويلية ،وكان ذلك إيمانا منه بضرورة إلمام القارئ بصورة واضحة بأبعاد النظرية التوليدية التحويلية ،وذلك من أجل تحليل الجملة العربية من المنظار الألسني .

كما تناول قضايا لغوية نفسية واجتماعية وتراثية هي نتيجة وثمرة الدراسات الألسنية المعاصرة .التي تعتبر الحجر الأساس للدراسات التي جاءت بعدها .

بالإضافة إلى محاولاته في حل إشكاليات بعض المسائل الألسنية في ضوء النظريات الحديثة وذلك من خلال اعتماد المنهجية الألسنية العلمية الدقيقة .

ومجمل القول أن الدراسات الألسنية العربية اكتسبت أهمية كبيرة لكونها تناولت اللغة من حيث هي ميزة إبداعية خاصة بالإنسان تحتل مكانة بارزة في حياته الفكرية ونشاطاته المختلفة .

([1]) ينظر : المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

وما يمكن أن لا نغفل عنه هو ذكر النتائج التي توصلت إليها البحوث اللسانية الغربية التي بدورها أثرت في الدراسات العربية ،وما يزيد من أهمية هذه الأخيرة كونها دراسات ألسنية لا تزال علما جديدا إلّا أنها حققت هذه النتائج المتطورة التي تساعدنا اليوم في تحليل وفهم اللغة بطريقة علمية .

خاتمة

خاتمة :

وبحمد الباري ونعمة منه وفضل ورحمة نحط برحالنا، بعد رحلة عبر ثلاثة محطات بين تفكر وتعقل في الجديد الدلالي عند " فرديناند دي سوسير" وأثره في علم اللغة الحديث وقد كانت رحلة جاهدة للإ رتقاء بدرجات العقل ومعارج الأفكار فما هذا إلا عمل متواضع لا ندعي فيه الكمال ولكن عذرنا أنا بذلنا فيه قصارى جهدنا وكما قال عماد الأصفهاني : رأيت أنه لايكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غدهِ لوغير هذا لكان أحسن ،ولو قدم هذا لكان أجمل وهذا دليل استلاء النقص على البشر .

وبعد أن تقدمنا بالسير في هذا المجال الواسع آملين أن ينال القبول ويلقى الإستحسان توصلنا إلى هذه النتائج :

ـ أن اللغة كانت مصدر اهتمام الإنسان مند نشأته ويتجلى ذلك في اهتمامات القدماء بها، كالهنود واليونان والعرب وغيرهم ،وامتد هذا الإهتمام إلى يومنا هذا .

ـ أن فكرة الدال والمدلول قد سبق وأن أشار إليها العرب أمثال الجاحظ والجرجاني والتي تعبر عن اللفظ والمعنى .

ـ التغيرات التي شهد تها اللسانيات في القرن العشرين تعود إلى الأعمال القيَمة التي قام بها " فرديناند دي سوسير " .

ـ ارتكاز الدرس الدلالي عند " دي سوسير" على العلامة اللغوية التي تتمثل في الدال والمدلول .

ـ أن مبدأ الاعتباط يمثل حجر الأساس لتصور" دي سوسير" للظاهرة اللسانية .

ـ موضوعات علم الدلالة تدور حول العلامات والرموز .

ـ العلامة اللغوية حسب ما توصل إليه " دي سوسير " لها مميزات عن غيرها مثل الاعتباطية، والخطية ...

ـ أن اللغة عند " دي سوسير " تقوم على الشكل الذي ينتج التماس بين الأصوات والمفهوم.

ـ قبل " دي سوسير" كان ينظر إلى اللغة على أنها مجرد مجموعة من الأصوات ، أما بعده فأصبحت نظاما " فهويرى بأنها مجموعة من الوحدات التي تقوم على عدد من العلاقات التي تربط بعضها ببعض .

ـ النظام عند "دي سوسير " يقوم على التقابل والتخالف ،وهو جوهر نظريته .

ـ اللغة عند "دي سوسير " لها قيمة وتكمن هذه القيمة في الخاصية التي تمكنها من تمثيل فكرة معينة ،كما أنها تؤكد على فكرة النظام .

ـ اللغة حسب" دي سوسير " تقوم على نوعين من العلاقات وهي التركيبية والترابطية.

ـ الدراسات اللغوية بعد " دي سوسير " تحولت تحولا كبيرا على ماكانت عليه الدراسات قبله .

ـ أثر لسانيات " دي سوسير "على اللغويين العرب والغرب .

وفي الأخير لانملك إلا أن نقول إننا قد عرضنا رأينا وأدلينا بفكرنا في هذا الموضوع لعلنا نكون قد وفِقنا في كتابته والتعبير عنه وأخيرا ما نحن ألا بشر قد نخطىء وقد نصيب .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

. أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ،ط1 ،القاهرة :1985 ،عالم الكتب .

. أحمد حساني ،مباحث في اللسانيات ،ط2 ،الامارات العربية المتحدة :2013 ،منشورات كلية الدراسات الإسلامية العربية .

. أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية ،بن عكنون الجزائر .

. حسام البهنساوي ،علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة ،ط2 ،القاهرة :2009 ،مكتبة زهراء الشرق .

. حلمي خليل ،مقدمة لدراسة علم اللغة ،دط ،الاسكندرية ،2000 ،دار المعرفة الجامعية .

. خليفة بوجادي ،محاظرات في علم الدلالة ،ط1 .الجزائر :2009 ،بيت الحكمة للنشر والتوزيع .

. سعيد شنوفة ،مدخل إلى المدارس اللسانية ،دط .الجزائر :د ت.

. شفيقة العلوي ،محاظرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،ط1 ، بيروت :2014 ،أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع .

. طالب محمد اسماعيل ،مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري ،ط1 ،عمان :2011 ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع .

. عبد السلام المسدي ،اللسانيات وأسسها المعرفية ، دط .تونس :1986 ،دار العربية للكتاب.

. عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، أبريل :1998 ،ضمن اصدارات عالم المعرفة ،العدد 232 .

. فايز الداية ،علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ،ط2 ،دمشق :1996 ،دار الفكر .

. فرديناند دي سوسير ،علم اللغة العام ،ترجمة يوئيل يوسف عزيز ،ط3 ،بغداد :1975 ،دار آفاق عربية .

. كلود جرمان وريمون لوبلون ،علم الدلالة ،ترجمة نور الهدى لوشن ،ط1 ،بنغازي :1997 ،دار الكتب الوطنية .

. محمد الشاوش وآخرون ،أهم المدارس اللسانية ،ط2 ،تونس :1990 ،منشورات المعهد القومي لعلوم التربية .

. محمد محمد يونس علي ،مدخل إلى اللسانيات ،ط1 ،ليبيا :2004 ،دار الكتاب الجديد المتحدة .

. مجدي ابراهيم محمد ابراهيم ،بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين ،ط1 ،الاسكندرية : 2014 ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .

. مصطفى غلفان ،اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات ،ط1 ،ليبيا :2013 ،دار الكتاب الجديد المتحدة .

. مرتضى جواد باقر ،مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ،ط1 ،عمان :2002 ،دار الشروق للنشر والتوزيع .

. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ،دط ، الجزائر :2010 ،ديوان المطبوعات الجامعية .

. ميشال أريفه ،البحث عن فرديناند دي سوسير ،ترجمة محمد خير محمود البقاعي ،ط1 ،بيروت :2009 ،دار الكتاب الجديد المتحدة .

. ميشال زكريا ،الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية ،ط1 ،بيروت :1976 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر .

. نعمان بوقرة ،محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،دط ،الجزائر :2006 ،منشورات برج باجي مختار .

. نواري سعودي أبوزيد ،الدليل النظري في علم الدلالة ،دط ،الجزائر :2007 ،دار الهدى .

. نور الهدى لوشن ،علم الدلالة (دراسة وتطبيق) ،دط ،الاسكندرية :2006 ،المكتب الجامعي الحديث .

الفهرس

تشكرات وإهداءات

مقدمة .....أ

لمحة عن علم الدلالة 1

الفصل الأول :الدرس الدلالي قبل " دي سوسير ".....4

المبحث الأول :الدلالة في الفكر الغربي القديم 4

1 . عند الهنود 4

2 . عند فلاسفة اليونان 6

المبحث الثاني : الدلالة في التراث العربي 9

1 . عند الجاحظ 10

2 . عند الجرجاني 14

3 . عند ابن جني 17

الفصل الثاني :الدرس الدلالي عند "دي سوسير ".....21

المبحث الأول : طبيعة العلامة اللغوية 21

1 . تعريف العلامة اللغوية 21

2 . طبيعة العلامة اللغوية 22

3 . ميزة الاعتباطية 26

4 . ميزة الخطية 30

5 . الشكل والمادة 32

6 . ثبوت العلامة اللغوية 35

7 . تغير العلامة اللغوية 37

المبحث الثاني :النظام اللغوي والدلالة 42

1 . مبدأ النظام 42

2 . القيمة اللغوية 44

3 . العلاقة التركيبية 47

4 . العلاقة الترابطية 49

الفصل الثالث:أثر الاتجاه البنيوي (السوسوري) على الفكرين الغربي والعربي

.....53

المبحث الأول :عند الغرب 53

1. بلومفيلد 53

2 . تشومسكي 60

المبحث الثاني :عند العرب 68

1 . عبد السلام المسدي 68

2 . ميشال زكريا 71

خاتمة 75

قائمة المراجع

الفهرس